الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس الأدب الجزائري القديم

مُعَدّة لطلبة الدكتوراه"LMD"

إعداد الدكتورة: زينب قوني

السنة الجامعية 2020/2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات
جامعة الوادي

مقدمة:

يرتبط الأدب بوجود الإنسان؛ والإبداع الإنساني غير مرهون بزمن، وإذا كانت الفنون المختلفة كالرسم، والنحت، والموسيقى ترافق الإنسان في كل الأمكنة والأزمنة، حري بالأدب أن يكون بدوره أكثر التصاقا بالإنسان؛ باعتباره دفقة شعورية.

ينطبق هذا على الإنسان الجزائري، الذي يرجع وجوده إلى عصور غابرة كان فيها التعبير بالرسوم والنقوش على الجدران، وبين أحضان الكهوف، كما كان التعبير عن الهواجس شفويا، ثم مكتوبا، فماذا عن ماهية الأدب الجزائري؟

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المجلس العلمي
جامعة الجلفة
زيان عاشور

محاضرة رقم01: مدخل عام للأدب الجزائري القديم

الجزائر – تاريخًا وثقافة –

قبل الخوض في الحياة الأدبية في الجزائر قديما؛ لابد من وقفه مع الواقع السياسي للفترة الممتدة من العصور القديمة؛ قبل الفتح الإسلامي ووصولا إلى حكم الدولة العثمانية والتي تعد إيدانا بنهايه فترة القدم، ليبدأ العصر الحديث مع بداية الاحتلال الفرنسي الغاصب.

إذا كان تاريخ الإنسان على الأرض يعود إلى عصور غابرة قسمها العلماء إلى أربعة عصور هي العصر الحجري القديم الأسفل، والعصر الحجري القديم الأوسط، والعصر الحجري القديم الأعلى، والعصر الحجري الحديث؛ فإن للجزائر نصيب من مكونات حضارات تلك العصور كغيرها من دول المغرب العربي، إذ عثر على معالم شاهدة على وجود الإنسان بالمنطقة منذ تلك العصور الغابرة.

في العصر الحجري القديم الأسفل نشأ الإنسان في المغرب الكبير بين الواحات، والسهول والوديان وكانت حياته مبنية على التقاط الخضر والفواكه والحبوب والطيور، مع صنع الأدوات الحجرية والخشبية، وقد تم العثور خاصة بمنطقة الهقار على أدوات حجرية وفؤوس يدوية حجرية، وبقايا حيوانات[1].

[1] ينظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ط1، 2011 ص 14.

أما في الحجري القديم الأوسط؛ فقد حصل تطور في الأدوات الحجرية إلى صناعة الشظايا الصوانية، كما ظهرت صناعة الفأس اليدوية الحجرية في بئر العاتر جنوب تبسة في إطار ما سمي بالحضارة العاترية. أما في العصر الحجري القديم الأعلى الممتد بين 1500و5000 ق م شهد صناعة أسلحة حجرية دقيقة وهي حضارة شهدتها نقاط عديدة من المغرب الكبير مثل الحضارة الوهرانية بالجزائر، والحضارة القفصية بتونس – في حين كان العصر الحجري الحديث أهم المراحل؛ إذ يُعَدُّ بداية الحياة المستقرة ماديًا وفكريًا؛ إذ بدأ الإنسان في هذه المنطقة ينتج الطعام ويصنع أواني فخارية في كهوف وهران، وقد استمر هذا العصر إلى 1200 قبل الميلاد أي العصر النيوليتي[2]، الإنسان الجزائري –إذن في القديم عايش المستجدا تماشيا مع كل عصر؛ إذ "يستنتج من الآثار التي اكتشفت في (معسكر بأن الجزائر هي مهد العنصر البشري المتحضر ... وذوقه الفني أخذ يتكون ويتطور وذلك بعلاقاته بالحوضين الشرقي والغربي من البحر المتوسط. فالطين المحروق يعطينا فكرة عن محاولاته الأولى في ذلك[3]... ولم يكتف بنقش الطين اللين بل عمد إلى الحجر فنقشه.

- والتحول الجوهري في حياة أهل المغرب الأوسط كان بمجيء الإسلام، كما كانت الدولة الرستمية فاتحة للإبداع الحقيقي؛ فبداية الأدب الجزائري القديم ترتبط

---

[2] ينظر: عثمان سعدي، المرجع نفسه ص 16، 17

[3] محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983، ص 16.17.

بنشأة الدولة الرستمية، حيث سُجِّلَ ازدهار نسبي للثقافة والعلم،[4] ، لتتوالى الدويلات التي شهدت تحولات كبيرة، وسنقدم عرضًا لأهم الدويلات التي أسهمت في تطوير الأدب الجزائري، وتشجيع المبدعين.

1-الدولة الرستمية 160هـ (776م) – 296هـ (909م):

بعد فائض من البحوث أكد الباحثون أن القوم المتواجدين بهذه المساحة الشاسعة من شمال إفريقيا أصولهم عربية سامية وبالتالي استقبلوا الفاتحين العرب برحابة، وسرعان ماانـدمجوا فيهم؛ إذ لم يجد الفاتحون صعوبة في دعوتهم إلى الدين الجديد.

ملاحظات:

- الفتح كان منتصف القرن الأول الهجري 50هـ من قبل عقبة بن نافع الفهري الذي أسس القيروان ثم وسع الفتح حتى استشهد سنة 63هـ ، بمدينة بسكرة.
- كانت العاصمة تاهرت مساحة للعلم والثقافة[5].
- امتازت بالتسامح المذهبي.
- أبرز شاعر بها : بكر بن حماد، وهو"من أشهر علماء العهد الرسمي ... هو (أبو عبد الرحمن بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي ، ولد سنة 206هـ) فتعلم أولا في تاهرت ، ثم سافر للقيروان، لمواصلة الدراسة الرسمية مسمية

---

[4] – سعد بن رستمان شاوش والغوثي بن حمدان ، الأدب الجزائري عبر النصوص إو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، طبع وإشهار داود برسكي ، تلمسان ، الجزائر، ص12.

[5] ينظر صالح فركوس 44، 45، 46

إلى المشرق 59 هـ إلى 633(678إلى 1235م) ، 59 هـ أواد جول للعرب الفاتحين .

- عاصمة البلاد صارت تاهرت.

- لعبت هذه المدينة دورا هاما في العلوم والفنون والأدب حيث أنها كانت محط الرجال من جميع الآفاق حتى أنها دعيت " بعراق المغرب " و" بالمغرب الصغير"

-برز في هذا العهد بالجزائر عدد لا بأس به من الأدباء من كتاب وشعراء ...وبسبب توالي الفتن والحروب لم يبق من إنتاجهم الأدبي إلا النزر اليسير...."؛ بينما نابغة هذا العهد هو الشاعر المفلق أبو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي التاهرتي.

-" لم تكن كل البلاد في ذلك العهد خاضعة لأئمة تاهرت الرستميين الإباضيين؛ بل كانت الناحية الشرقية منها أي مقاطعة قسنطينة الحالية تابعة لبني الأغلب أمراء إفريقية والقيروان كما أن تلمسان وناحيتها في الجهة العربية كانت تابعة للأدارسة ملوك فاس والمغرب الأقصى ."

-من أدبائها أيضا الأمام أفلح بن عبد الوهاب ثالث الأئمة الرسمين عُرف بفن برسائله البديعة، كما عُرِفَ بالشع)، من شعره : فضل العلم وأهله :

العلم أبقى لأهل العلم أثارا

يريك أشخاصهم روحا وأبكارا[6]

2-الدولة الإدريسية 172هـ (788م) -311هـ (923م):

نسبة إلى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى يعود نسبة إلى آل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فر إلى مصر من العباسيين ثم دخل طنجه وعمل على تأسيس دولة بالمغرب الأوسط وانتشر نفوذه حتى المغرب الأوسط (ثلاث إمارات: تلمسان ، هازو ، متيجة).

- دولة الأدارسة بالجزائر سقطت على يد زيدي بن مناد الصنهاجي حليف العبيديين ونائبهم بالمغرب الأوسط.

ومن أثارها :- مسجد أغادير بتلمسان، مدينة البويرة شرقي الجزائر[7].

- من أعلامها: أحمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي تولى القضاء في العهد الرستمي، ثم نقل إلى المغرب الأقصى، وله أبيات في مدح الأمير أبي العيش بن القاسم الإدريسي:

ما عذرها والحر عيسى ربها ملك الملوك ورائض الرواض[8] .

3-الدولة الأغلبية 184هـ (800م) -296هـ (909م).

- أسسها إبراهيم بن الأغلب .

---

[6] محمد بن رمضان شاوش ، ص 12

[7] ينظر صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر ، ص 59.

[8] محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان ، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص ص27.

- تابعة للخلافة العباسية .
- كان أسطولها عظيما وبه استطاعت أن تواصل الفتوحات خارج حدود المغرب.[9]
- كانت عاصمتها القيروان.
- بها إمارة طبنة بالجزائر.
- الدولة الأغلبية كان لها ثلاث حواضر كبرى تزخر بالعلماء القيروان وتونس وطبنة بالجزائر (بريكة حاليا)[10].
- "كانت طبنة تنافس القيروان في الميدان الثقافي ، أنجبت في عصرها الذهبي مابين 154و 293هـ .....أعلاما في الفقه والعلوم اللسانية والفنية والأدب. بقي المذهب المالكي دوما ثابت مرتكزا ".
- من أبرز الشخصيات الأدبية في طبنة حاضرة الأغالبة بالجزائر " أبو عبد الله محمد بن الحسين الطبني".
- ومن شعراء طبنة أيضا : " أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن زياد الطبني "ومن شعره:

عجبا أن يكون ساكن قلبي

رائعا منه في بساتين حبي

---

[9] ينظر : بشير خلدون ، الحركة النقدية ،أيام إبن رشيق المسيلي، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر (د ط) (د ت ط) ، ص 18

[10] محمد الطمار ، الروابط الثقافية ، ص 84

ويحارب على الوفاء بغدر

حسبي الله ثم حسبي وحسبي

جازني كيف شئت لا أترك الذات

إذا كان فرط حبك ذنبي [11]

4- الدولة العبيدية (الفاطمية) 296هـ (909م)و 378هـ (996)م :

- ظهرت بالمغرب وبسطت نفوذ سلطاتها على كل شمال إفريقيا.
- نقل الحكم بسرعة إلى مصر.
- تركوا على المغرب حلفائهم الزيريين الذين ينتمون إلى قبيلة صنهاجة، وسرعان ما كونوا دولتهم الصنهاجية.[12]
- نسبة إلى عبيد الله المهدي .
- هم من الشيعة : يقولون بتفضيل سيدنا علي كرم الله وجهه.
- " لأول مرة في التاريخ يدخل المغرب كله : تونس والجزائر والمغرب الأقصى تحت حكم دولة واحدة وإدارة واحدة ."[13]
- **الثقافة والأدب :**

---

[11] سعيد العلام الروابط الثقافية ، ص 88

[12] ينظر : بشير خلدون ، ص 18.

[13] صالح فركوس ، ص 64.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات
جامعة السوادي

كان الفاطميون يهتمون بالفنون من زركشة وزخرفة ومعمار، من آثارهم مدينة المسيلة.

من شعرائها ، ابن هاني الأندلسي.

5-الدولة الحمادية 398هـ (1007م)- 547هـ (1153م)الصنهاجية (362-542هـ) : شمل حكمها تونس والجزائر.

- كانوا تابعيين للعبيديين الفاطميين؛ لكن سرعان ما أسسوا دولتهم.
- كان حكامها محبين للعلم ، والعلماء.
- شجعوا الشعراء والأدباء وقربوهم إليهم .
- كان تشجيع الحركة الثقافية والعلمية : (الشاعر والأديب والعالم واللغوي والنحوي والفيلسوف)[14]
- حينما نقلت الدولة الفاطمية سلطتها إلى مصر عين ابن زيري بلكين واليا على جميع بلاد المغرب ، كان ذلك إيذانا لبداية الدولة الصنهاجية التي تفرعت عنها الدولة الحمادية .
- بعد نجاحه في مواجهة قبائل زناته عهد لحماد بالمغرب الأوسط ، ثم أسس مدينة القلعة (قلعة بني حماد) [15] .
- كانت الصراعات سببا في ضعف هذه الدولة .

---

[14] ينظر : بشير خلدون ، ص 19

[15] ينظر : صالح فركوس ، ص 66.

وقد كان بن هاني يمدح الأسرة الفاطمية، كما مدح الزاب بالجزائر قائلا:

إنما الزاب جنة الخلد فيها

من نداء غضارة التفويق[16]

ويقول في مدح جعفر أحد حكامها :

خليلي أين الزاب عنا وجعفر

وجنة خلد بنت عنها وكوثر؟

فقلبي نأى عن جنة الخلد آدم

فما راقه في ساحة الأرض منظر

خليلي ما الأيام إلا بجعفر

وما الناس إلا جعفر دام جعفر[17]

6-الدولة الموحدية 515هـ (1121م)- 668هـ (1269م):

- قامت على أساس عقيدة التوحيد.
- شعارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

[16] محمد الطمار ، ص 111

[17] المرجع نفسه ، ص 111

- تزعمها محمد بن تومرت، الذي استقر في مدينة المهدية عام 511هـ، ثم اتجه نحو قسنطينة فبجاية ، ثم مراكش.

- طُرِدَ من مراكش من قبل أمير دولة المرابطين علي بن يوسف .

- التحق بقرية إيجلز بجبال مصمودة وأعلن بطلان بيعة الأمير علي بن يوسف، التف حوله الناس.

- توفي في معركة البحيرة، فبايع الموحدون تلميذة عبد المؤمن بن علي .

- خضع إليها كل المغرب العربي.

- الصراع أدى إلى سقوط دولة الموحدين .

- تفككت الوحدة بانفصال :

- بني حفص بتونس .
- بني مرين بالمغرب الأقصى.
- بني عبد الواد بتلمسان عاصمة للمغرب الأوسط.[18]

من أشهر أعلامها: سحنون بن سعد ، الذي هاجر إلى بغداد سنة 217هـ ، فتتلمذ على علمائها ، والتقى بشعرائها المشهورين من أمثال : أبي تمام ، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم ، ومسلم بن الوليد ، وابن الأعرابي واتصل بخلفاء الخلافة العباسية

[18] ينظر : رسائل فرقهم ، ص 68

وبأئمة تاهرت ....عاد إلى بلده تاهرت سنة 295هـ وبعد أشهر أي في شوال296 هـ توفي ...ومن شعره قوله لما غادر العراق :

ومؤنسة لي بالعراق تركتها وغصن شبابي في الغصون نضير

فقالت كما قال النواسي قبلها عزيز علينا أن نراك تسير[19].

كما يقول في رثاء ابنه محمد :

بكيت على الأحبة إذا تولوا ولو أني هلكت بكوا علي

فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا

كفى حزنا بأني منك خلو وأنك ميت وبقيت حيا

ولم أك أيسا فيئست لما رميت التراب فوقك من يديا[20]

قتلت أفضل من يمشي على قدم

وأول الناس إسلاما وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما

سن الرسول لنا شرعا وتبيانا

---

[19] عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ ص 244.

[20] المرجع نفسه ، ص 246.

صهر النبي ومولاه وناصره

أضحت مناقبه نورا وبرهانا [21]

7-العهد العثماني : (1518م – 1830م):

- بعد الصراعات والخيانات ، كانت أطماع الأسبان في البلاد.
- جاء الأتراك وكان القضاء على الاسبان.
- التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية بعد إعلان خير الدين تبعيته للسلطات العثمانية[22].

قبل العهد العثماني كانت مراكز الثقافة كثيرة في الدويلات السابقة.

تلمسان – قسنطينة – بجاية – مازونة – وهران – الجزائر – عنابة – بسكرة .

عائلات عديدة اشتهرت في هذه المدن بالعلم والتأليف والدرس والتصوف مثل: عائلة العثماني المقري في تلمسان، وابن باديس، القنفذ في قسنطينة، والمنجلاتي والمشدالي في بجاية أين السكان في الجزائر، إلى جانب علماء في النحو وشعراء في التصوف وفقهاء .....

وفي العهد العثماني كان الاهتمام بالدراسات اللغوية قليلا نظرا لعائق اللغة مما أدى إلى هجرة الكثير من العلماء إلى أقطار عربية، وما بقي معظمه كان أدبا

---

[21] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 247.

[22] ينظر: صالح فركوس ، ، ص 79

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المجلس العلمي
جامعة السوادي

متواضعا فكان بقواعد لغوية نحوية وعروضية فيها كثير ، كما انتشر الشعر الملحون.

- هذا لم يمنع من ظهور أدباء كبار أمثال :

1-عبد الكريم الفكون (اشتهر بالرسائل المتبادلة مع علماء عصره).

2-محمد بن ميمون : اشتهر بالمقاومة (أشهر مؤلفاته: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية).

3-أحمد البوني : اشتهر أيضا بالمقامة (أشهر مقاماته : إعلام الأخيار بغرائب الوقائع والأخيار).

4-أحمد المقري : صاحب كتاب(نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب عاش في دول عربية : المغرب الأقصى ، الشام ومصر ، وكان يحن إلى تلمسان.

بلد الجدار ما أمر نواها كلف الفؤاد بحبها وهواها [23]

يا عاذلي في حبها كن عاذري يكفيك منها ماؤها وهواها

من أعلامها أيضًا:

- سعيد المنداسي (شاعر) .
- محمد بن المهدي بن علي (شاعر) .

---

[23] ينظر : عثمان سعدي ص 426، 427.

- عبد الرحمن بن موسى
- محمد عبد الله بن عمر البسكري.
- أحمد بن عمار (عالم) ترجم له أبو القاسم سعد الله في ج 2.

المحاضرة رقم02: الأدب الجزائري القديم- ماهيته وهويته وظروف نشأته

أولًا: ماهية الأدب الجزائري القديم وهويته

يمكن في البدء التساؤل عن حقيقية وجود أدب جزائري من عدمها؛ هذه القضية تجعلنا نحدد الإجابة انطلاقا مما وصل إلينا من المصادر التراثية التي عثرنا عليها رفوف بعض المكتبات : عنوان الدراية – التحفة المرضية – (في المكتبات الخاصة و العامة من أقطار المغرب العربي).

-هوية الأدب الجزائري القديم ولسانه : (أدب عربي اللسان) .

يمكن التساؤل حول الأدب القديم في الجزائر :" هل هو هذا الأدب المفترض وجوده افتراضا ، والذي لا نعرف أو لا نكاد نعرف عنه شيئا مكتوبا أو مرويا من تلك العهود الموغلة في القدم؟ أم هو هذا الأدب المكتوب المقروء الذي وصلنا والذي تعود نشأته الأولى إلى منتصف القرن الثاني للهجرة أو بعد ذلك بقليل هناك قضية عن إمكانية وجود أدب أمازيغي قبل تمكن اللسان العربي[24].

[24] - عبد الملك مرتاض الأدب الجزائري القديم (دراسة الجذور) ، دار هومه، طبعة 2009، ص9.

- إن الأمازيغيين الأحرار .احتضنوا اللغة العربية فيتحدثون بها ويولفون بها .

- يكتبون بها الأدب " وكل من تكلم العربية فهو عربي " (لغة القران الكريم –

فالأمازيغيون احتضنوا الدين بحرارة– وعملوا على نشره (رحالة، تجار ، علماء)).

ثانيًا: ظروف نشأة الأدب الجزائري القديم

– عامل الفتن والحروب:

إن المرء ليندهش أمام ما تذكره أسفار التاريخ عن هذه القرون الأولى (من القرن الأول إلى الثالث للهجرة ، وما عقبها) من الاضطرابات والانتفاضات ، والفتن والثورات ، والحروب والانقلابات .فلا نكاد نصادف حربا ما تضع أوزارها ؛ فيرتاح الناس من ألامها وأوجاعها ؛ حتى تتضرم حرب أخراة على أنقاضها .ولا يكاد يستقر كرسي ، أو سجاس ، بأمير ، أو رئيس دولة حتى يمرج به مرجا شديدا فلايمسي بعد أن أصبح ، وقد لايصبح بعد أن كان قد أمسى .....

وحين نتحدث عن الدولة الرستمية الصغيرة الرقعة ، الفتية النشأة ؛ لا نكاد نجد لها استقرارا حقيقيا إلا على عهد مؤسسها الأول عبد الرحمن بن رستم>>[25]ص 41

– الإزدهار النسبي للثقافة والعلم :

---

[25]–المرجع نفسه، ص41.

إن الدولة الرستمية هي أول دولة جزائرية حاولت نشر اللغة العربية عن طريق تعليم الناس مبادئ الدين الإسلامي بلغته الأصلية ، وتحفيظهم القرءان ،وترويتهم الحديث النبوي حتى إن مباركا الميلي يزعم أن العربية كانت هيا لسان الدولة الرسمي (27) ؛ ولكنه الفصحى (28)، بل إننا نجد إشارات إلى وجود شعراء برابرة مفلقين على ذلك العهد ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك منذ حين ؛ ولكن التاريخ لم يحفظ لنا نصوصا ، في حدود علمنا نحن على الأقل ، من أشعارهم فضاعت الحقيقة التاريخية في ظلام الزمن الغافل .كما نلفي إشارات إلى كتب ألفت بالبربرية في الفقه الإسلامي لتعليم الناس شؤون دينهم (29).ويبدو أن التاريخ علقت ذاكرته بطائفة من هذه الكتب التي لما تنشر ، فتذكر .....[26]>>.

ولعل الذي حمل الرستميين ، وهم فرس خلص ، على أن يتخذوا من العربية لسانهم الرسمي ثلاثة عوامل :

أ- إن العربية لغة الإسلام ، فكان من العسير تبني لغة غير العربية لمخاطبة الناس وهم مسلمون .....

ب- كانت العربية ، في حقيقة أمرها ، على ذلك العهد وما بعده ، لغة عالمية بلا منازع ؛ فكان من العسير عليهم فرض لغة أخراة غير " مخدومة " ولا متطورة في هذه الدولة العجمية الانتماء ، كما يزعم الجاحظ

---

[26]-نفسه، ص44.

ت- إن فارسيتهم أبت عليهم ترسيم البربرية سن باب قول القائل: " على وعلى أعدائي !إذا كان مستحيلا إنبات اللغة الفارسية في الجزائر ، في بيئة بربرية إسلامية خالصة ، وبنزعة دنيوية سياسية فقط ، أيضا .كما ترسيم البربرية في تلك المرحلة لم يك ،هو أيضا واردا ؛ لأنها لا ترقى إلى مستوى لغة العلاقات العامة مع بلدان المشرق (عمان -جبال نفوسة (ليبيا حاليا) ،ولا مع بلاد الأندلس أيضا ؛ ولم تك لغة الإسلام، ولا لغة القرءان والحديث ؛ فكان عسيرا ، إذن ، اتخاذ البربرية لسانا للدولة الرستمية من حيث الزمان والمكان .

وإذن ، فقد كان نشر العربية واتخاذها لسانا رسميا لدولتهم من الأمور التي اقتضتها الظروف التاريخية والدينية والسياسية واللغوية والاجتماعية التي كانت تحيط بهم ، وتفرض نفسها عليهم [27]>>.

المحاضرة رقم03: الأدب الجزائري القديم – النشأة والتطور-

"ونجتهد الآن في حصر أهم العوامل التي أفضت إلى انتشار اللغة العربية في إفريقيا الشمالية التي تعد بلاد الجزائر قلبها الخافق ، وعرقها النابض:

- هجرة بعض الفرق الإسلامية إلى بلاد المغرب:

---

[27]- نفس المرجع ص15

إن الفتنة الطاحنة التي وقعت على عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، والنتائج الخطيرة التي تولدت عن قتله وهو يصلي الفجر في مسجد الكوفة عام أربعين للهجرة ؛ أفضت ، بحكم طبيعتها ، إلى تمزق في الرؤية الإسلامية وتشعب الناس في مذاهب وفرق .

انبثقت مباشرة عن هذه الفتن الهوجاء ؛ وأهم هذه الفرق : الخوارج ، والشيعة، والمعتزلة ، وكل فرقة من هؤلاء تنقسم على نفسها وتتفرع إلى فرق أخراة.ومن بقي من الناس في الصف الأكبر من المسلمين أطلق عليهم أهل السنة ، أو أهل الجماعة .ويضاف إلى كل ذلك ، الفرق الإسلامية الأقل شأنا في التأثير والعدد، والتي انبثقت حتما عن النزعتين الخارجية والشيعية اللتين نشأتا عن اختلاف الناس من حول شخصية علي عليه السلام المثيرة ، وخلافة أبي بكر رضي الله عنه .....ومن تلك الفرق الصغيرة : المرجئة ، والقدرية .كما يضاف إلى ذلك انقسام هذه الفرق داخليا إلى شيع ومذاهب نبلغ عشرات مما يعدون ؛ فإذا الخوارج عشرون فرقة ، وإذا الروافض عشرون ، وإذا القدرية عشرون أيضا ، وإذا المرجئة عشر فرق، وهلم جرأ..."[28] .

– أثر تأسيس الدولة الرستمية في التمكين للعربية من الانتشار:

2– عبد الملك مرتاض الأدب الجزائري القديم (دراسة الجذور) ، دار هومه، طبعة 2009، ص32.[28]

إن هذه الدولة الرستمية عجيبة التركيب ،غريب التكوين ، ناشزة التجانس؛ فقد نشأت والحروب طاحنة ببلاد المغرب؛ بحيث لا تكاد حرب تضع أوزارها حتى تضطرم حرب أخراة مكانها ، أشرس وأضرى ؛ يضرمها ثائر من الثوار، أو متعطش للسلطان ، أو مستعذب لسفك الدماء : وما كان أكثر أمثال هؤلاء الثائرين المشاغبين على السلطان ، على عهد الدولة العباسية المتنائية الأطراف ، المتباعدة الأرجاء، مع ضعف المواصلات ، وانعدام وفاء الرجال : حتى قيل : إن عدد حروب الخوارج ببلاد المغرب بلغ زهاء خمس وسبعين وثلاثمائة حرب"[29].

- الرحلة إلى المشرق لطلب العلم :

ظلت الرحلة في طلب العلم مظهرا مشرفا ونبيلا في الثقافة الإسلامية حيث ظل الناس يتبادلون الرحلة من المشرق إلى المغرب ، ومن المغرب إلى المشرق خصوصا ، للركوع من ينابيع المعرفة ، والسماع من أكابر العلماء والمفكرين ومجالستهم ، ومناقشتهم : فيما كان يعرض لهم من مسائل العلم، وقضايا المعرفة .ويبدو أن تقاليد التعليم على تلك العهود كانت تؤثر السماع من أفواه العلماء على قراءة كتبهم ؛ فكان المتعلمون ، أو قل : طلاب العلم على الأصح ، يلتمسون مشافهة الرجال ،و الاتصال بهم شخصيا . وكانوا يفتخرون بذلك ويتباهون...

---

[29] المرجع نفسه، ص 31

ولعل أهم رحلة ، احتفظ بها التاريخ ، قام بها مثقف جزائري ؛ تلك الماثلة في رحلة بكر بن حماد الزناتي الذي كان باكر إلى النهوض بهذه الرحلة وهو في سن السابعة عشر ربيعا. والحق أننا لا نعرف كبير شيء عن خلفيات هذه الرحلة ودوافعها الحقيقية؛ فهل كانت ضربا من الهروب من مدينة تيهرت خشية بعض الاضطهاد المذهبي؟ أم إن دوافعها كانت معرفية خالصة ؟ وأيا كان الشأن ، فإن المسألة الأولى تظل مجرد افتراض حتى تثبتها الوقائع التاريخية التي صممت عن الكثير ، ولم تفصح إلا عن القليل .ولا نحسبها ستنطق في يوم من الأيام فتخبرنا بحقائق الأشياء التي بعد عهدها بنا ، ونأى عهدنا بها ...[30].

ولقد أتيح للشاعر بكر بن حماد ، الفتى الجزائري المعتد بنفسه ، أن يجالس أدباء بغداد ومفكريها وفقهاءها ومحدثيها – والذي يعنينا هنا والآن إنما هو الجانب الأدبي المحض – ومنهم أبو تمام الطائي ، ودعبل الخزاعي (ولا ندري ما العلة التي جعلت العلاقة تسوء بين بكر ودعبل وحده ، من دون الشعراء الآخرين الذين صافاهم بكر المودة ؟)، وعلي بن الجهم ، والرياشي، وأبو حاتم السجستاني وسواؤهم من الأدباء والمفكرين في العاصمة العباسية التي يبدو أنها كانت أهم مدينة وأكبرها في العالم أثناء القرنين الثالث والرابع للهجرة .....

---

[30]- المرجع نفسه، ص38.

ويبدو أن بكر بن حماد كان أول شخصية فكرية جزائرية صميمة ميلادا ومنشأ ونسبا ودارا : ترقى إلى تبوئ شهرة عربية في المشرق والمغرب والأندلس حيث تصدر للتعليم بالقيروان عام أربعة وسبعين ومائتين للهجرة .وقد ارتحل إلى الشيخ خلق كثير من أهل الأندلس وأخذوا عنه"[31] .

"وواضح أن لغة التعليم والتأليف والإبداع والتفكير كانت لغة الضاد؛ إذ لم تكن البربرية تعيش مع العروبة إلا معايشة العامية للفصحى اليوم ، على حد تعبير مبارك الميلي، وعلى أن مثل هذا التصور لم يمنع من وجود شعراء برابرة مفلقين فيما يزعم بعض المؤرخين ؛ وإن كنا نعتقد بانقراض كثير من ذلك الشعر ، أو كله .....ولعل ذلك يعود إلى أن أشعارهم لم تدون في الكتب فلم تكتب لها حياة، أو أنها دونت في بعضها على الأقل ؛ ولكنها تعرضت للإحراق ، أو للاحتراق، في بعض الفتن الطاحنة؛ مثلها مثل كثير من الأشعار الشعبية الجزائرية ، بل حتى الأشعار التي اتخذت لها اللغة الفصحى حيث ضاع معظم شعر بكر بن حماد نفسه مثلا ...وهي الأشعار التي لم يصلنا منها له إلا مقطعات لا ينبغي لها أن ترقى إلى مستوى شهرة هذا الشاعر. كما إن الأشعار الآخرة التي وصلتنا لا تمثل إلا مقطعات قصارا لا تسموا إلى مستوى ما يتحدث عنه المؤرخون الذين عالجوا هذه الفترة بشيء من البحث والتحليل ، أو أومأوا إليها من بعيد : مع تكاثر الشعراء في الدولة

---

[31]-المرجع نفسه، ص39.

الرستمية ، وازدهار العلم على عهدها .....ويبدو أن ما وصلنا من النصوص الشعرية القليلة لا يمثل إلا اشتهر وسار بين الناس لعلة ظرفية أو أخراة ؛ من أجل ذلك نلفي معظم الأشعار التي بلغتنا لا تعدو أن تكون مقطعات قصارا.

وربما كانت أطول قصيدة لبكر بن حماد تناقلتها كتب الأدب والتاريخ والتراجم تلك التي يعارض فيها عمران بن حطان الخارجي (ومعارضة ابن حماد لعمران توحي بثبوت ما كنا زعمناه من قبل من أن هذا الشاعر الجزائري القديم إنما ذهب إلى المشرق لبرمه من الفكر الخارجي لا يخلوا من قساوة وتشدد والذي لا يكاد يسمح بالاجتهاد وحرية الرأي... وربما أفلتت تلك القصيدة من نسيان الزمن لأن بكرا عارض بها شاعرا مشرقيا خارجيا شهيرا هو عمران بن حطان، ولو أنه كان ميتا؛ ثم لأن المسعودي دونها في مروجه فخلدت...[32].

المحاضرة رقم04: – الشعر الجزائري القديم – أغراضه وأبرز أعلامه–1

(المدح، الوصف، الغزل، رثاء المدن والممالك البائدة، الشعر الصوفي، الموشحات..).

---

[32]–المرجع نفسه، صص40/41.

1- الوصف :

إن الوصف من الخصائص الجمالية التي لا مناص من كينونتها في أي أدب رفيع ؛ فكان خاصية الوصف ملازمة للأدب شعره ونثره ، ولعل وصف الشاعر بكر بن حماد لمدينة تاهرت يندرج ضمن تسجيل وصف الحال دون قصد صريح للذم والمدح ؛ إذ كانت الغاية من هذا الوصف هي إخبارنا ببرودة الطقس في تاهرت حيث إن قدماء التاهرتيين أجمعوا على أن هذه المدينة كانت باردة جدا أثناء فصل الشتاء خصوصا ؛ وهي ، في الحقيقة ، لا تبرحها ؛ ولعل استحداث المدافئ، واستكشاف الوسائل المرفهة هما اللذان جعلا أهل هذه المدينة وما يشابهها ، على عهدنا هذا ، لا يشعرون بصباره البرد بالمقدار الذي كان يحس به أباؤهم الأولون .وإحساس الأوائل بصبارة البرد في تيهرت واشتهار ذلك بينهم جعل أحد ظرفائهم بعد أن سئل:

- كم الشتاء عندكم من شهر في السنة ؟

يقول

- "ثلاثة عشر شهرا "![33]

2- المدح :

[33] – المرجع نفسه، ص62/61.

ومن مدحهم بكر بن حماد أيضا الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس صاحب مدينة كرت التي كانت تقع .بالجغرافيا المعاصرة ، بين مدينتي فاس وأصيلا بالمغرب الأقصى (12) ؛ ولكن في مطلع لا يخلوا من تكلف وإسفاف .ولعله لم يمدحه إلا لطمع في عطية مزجاة وعلى الرغم من أن المقطوعة تمتد إلى ستة أبيات إلا أنها ليست على شيء من الشعرية[34].

3- الزهد :

لقد عرف بكر بن حماد بشاعر الزهد حتى إننا قد لا نغالي إن أطلقنا عليه أبا عتاهية الجزائر ؛ إذا لا نعرف شاعرا برع في هذا النوع الأدبي في بلاد المغرب كلها، على عهده على الأقل ، مثل براعته هو ؛ وإن كنا لنحسب أنه يعد أيضا من أكابر شعراء القرن الثالث للهجرة كله في أقطار المغرب ، إن لم يكن أكبرهم إطلاقا >>[35]

4- الغزل :

ولا يستأثر بكر بن حماد بهذا النوع من الشعر لسببين اثنين ؛ وإن دلت بعض الأبيات الغزلية التي قيلت عرضا على أنه كان قادرا حقا على التشبيب حين كان يشاء :

---

[34]-نفسه، ص65.

[35]- نفسه، ص65.

أولهما : أنه كان رواية للحديث ، عالما به ، مميزا لرجاله ؛ فكان من الوقار والوفاء لهذه الصفة أن لا يقول شعرا في الغزل فيسيء إلى سمعته في الرواية ، ويجلب على نفسه ومنزلته بين الفقهاء والمحدثين شيئا من العنت والأذاة .

وثانيهما : أنه اشتهر بالزهديات والوعظيات ؛ وهي صفة مكملة لرواية الحديث وحفظه ومدارسته ؛ فكان من النشاز في الشخصية أن يقول في باب الزهد شعراء، وفي باب الغزل شعرا مثله.لكن ذلك لم يحظر عليه أن يقول بعض الشعر الغزلي الرقيق عرضا ، فيبرع فيه . ولعل من أجمل وأرق ما وصلنا من ذلك قوله في مطلع مقطوعة اعتذارية :

ومؤنسة لي بالعراق تركتها وغصن شبابي في الغصون نضير

فقالت ، كما قال النواسي قبلها عسير علينا أن نراك تسير[36]

المحاضرة رقم05: – الشعر الجزائري القديم – أغراضه وأبرز أعلامه-2

1 الرثاء :

[36]– نفسه، 66.

إنا لم نظفر إلا بثلاث مقطوعات ، في الوقت الراهن ، حول هذا النوع الشعري : اثنتين لبكر بن حماد ، وقد قالهما في رثاء ابنه عبد الرحمن حين ساور سبيله وإياه وهما ميممان مدينة تاهرت عائدين من مدينة القيروان[37].

وإذا كانت الحياة رابطة قوية بين الشعراء ، فإن الموت أيضا كان يقوي تلك الرابطة ، بل يكشف عن أصالتها أو زيفها ، فكما تبادل الشعراء الاخوانيات أثناء الحياة جادوا بالشعر عند وقوع مصاب بأحد العلماء أو الشيوخ ، وشعر الرثاء ، على خلاف شعر المدح ، قليل ، ومما يذكر أننا لا نكاد نجد قصيدة فيما يمكن أن نسميه بالرثاء السياسي ذلك أن جميع المراثي ، على قلتها ، لا تخرج عن بكاء بعض الشيوخ ورجال الدين[38].

2 – الحكمة والتوجيه :

يصادفنا نص وحيد حول هذا النوع من الشعري ؛ ولكنه ، هو وحده ، يكاد يساوي، من حيث الطول على الأقل ، نصف ما وصلنا من أشعار هذا العهد كله ؛ إذا لم يستطع كل الباحثين أن يظفروا بأكثر من مائة وخمسة عشر بيتا لبكر بن حماد (واستطعنا نحن أن نستدرك عليهم زهاء ستة أبيات أخراة)؛ يضاف إليها أبيات متفرقة لسعيد بن واشكل التاهرتي ، وأبيات أخراة متفرقة لابن الخراز ؛ وأبيات أخراة أيضا

---

[37]– نفسه، 67.

[38] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،ج2، 1981، ص288.

قليلة غير معزوة إلى صحابها .ولا يكاد هذا العدد كله مجتمعا يجاوز مائة وخمسين بيتا .في حين أن النص الشعري الذي نريد التعرض له هنا ، وهو لأفلح بن عبد الوهاب ، بلغ عدد أبياته أربعة وأربعين . وهو النص الشهير الذي مطلعه :

العلم أبقى لأهل العلم أثارا وليلهم بشموس العلم قد نارا (24)[39].

تاريخ الجزائر الثقافي ، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20هـ) ، الدكتور أبو القاسم سعد الله .

3- الشعر الديني :

كان الدين ، بأوسع معانيه ، من أهم الأغراض التي طرقها الشعراء ولا سيما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده .ويشمل ذلك أيضا الشعر الصوفي ، والتوجه إلى الله وقت الشدة ، ومدح ورثاء الأولياء والصالحين ونحو ذلك .

ولا شك أن الشعر الديني ، وخصوصا المدائح النبوية ، من أقدم الأغراض الشعرية ، وتحتفظ الوثائق بقصيدة نادرة في مدح المدينة المنورة (طيبة) قالها الشاعر الصوفي أبو محمد عبد الله بن عمر البسكري وهي القصيدة التي أكثر الكتاب من تداولها والنسج على منوالها لجودتها وصدقها ، فذكرها ابن عمار في (الرحلة) وابن سحنون في (الأزهار الشقيقة) ، ومنها هذه الأبيات:

---

[39]- عبد المالك مرتاض، المرجع نفسه، ص69.

دار الحبيب أحق أن تهواها ونحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هممت بزورة يا إبن الكرام عليك أن تغشاها

فلأنت أنت إذا حللت بطيبة وظللت ترتع في ظلال رباها

معنى الجمال منى الخواطر والتي سلبت عقول العاشقين حلاها

لا تحسب المسك الذي كثر بها هيهات !أين المسك من رياها

طابت فإن تبغ التطيب يا فتي فادم على الساعات لثم ثراها[40]

4- الشعر السياسي :

لم يرتبط الشعر بالسياسة في الجزائر خلال العهد العثماني إلا في مناسبات محدودة نستطيع حصرها في الجهاد ضد الأجانب ، وخصوصا الأسبان ، ومدح بعض الأمراء طمعا في مالهم[41].

5- الشعر الاجتماعي:

نعني بالشعر الاجتماعي شعر الاخوانيات الذي يشاطر فيه العلماء بعضهم بعضا في مناسبات معينة ، وشعر الرثاء والتقريظ والمدح لغير الأمراء ورجال الدين

---

[40] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (م س)، ص254.

[41] - المرجع نفسه، صص263/262.

، وشعر المجون ونحو ذلك ، وإذا حكمنا من الإنتاج الذي لدينا فإننا نجد أن شعر الاخوانيات قد سيطر على البيئة[42].

المحاضرة رقم06: – الشعر الجزائري القديم – أغراضه وأبرز أعلامه–3

1– المجون والمزاح :

يبدو أن محمد بن أحمد بن راس العين ، الذي لا نعرف عنه إلا القليل والذي كان محل تقدير الشعراء والعلماء ، ممن اشتهر بشعر المجون ، ففي الوقت الذي كان فيه الفقهاء يلعنون شجرة الدخان ويفتنون بعدم شربها أو تدخينها ، كان إبن رأس العين يسخر من فتاويهم ويخاطب (التباغة) كما يخاطب الخمر المحرمة[43].

2– المدح والفخر:

إذا كان الشعر الاجتماعي في جملته محدود الأغراض في العهد العثماني للظروف التي شرحناها ، فإن العلاقات الشخصية ظلت تلعب دورا هاما في تحريك القرائح والتعبير عن ذلك بشعر جيد أحيانا ، وقد كثرت الأشعار بين أخوان العلماء والأدباء معبرين بها عن حالات النفس من شكوى وطموح وفخر ، وعن التلطف والأطراء والتنويه .والعلماء وأدباء الجزائر علاقات كثيرة مع بعضهم ومع علماء

---

42 - السرجع نفسه، ص 276.
43 - المرجع نفسه، ص277.

وأدباء المشرق والمغرب ، وسوف لا نأتي على تفاصيل كل العلاقات وملابستها، وحسبنا هنا الإشارة إلى عدد من الحالات التي تكشف عما كنا نقول.

فهذا العياشي المغربي يمدح شيخه عيسى الثعالبي بقصيدة طيبة اللفظ والمعنى مطلعها :

إذا غالبتك النائبات فغالب بفخر فحول العلم عيسى الثعالبي

3- شعر الألغاز :

كان التلغيز نوعا من الرياضة الأدبية يتعاطاه الفقهاء والشعراء على السواء . ففي وقت انعدمت فيه أو كادت وسائل الترفيه والتسلية كان اللجوء إلى التلغيز بالشعر إحدى هذه الوسائل ، وكان الملغز يعبر عن حادثته بالبيت أو الأبيات ولكنه لا يلجأ إلى القصيدة الطويلة ، وليس من الضروري أن ينظم الملغزون الجزائريون ألغازا جديدة ، فقد كان بعضهم يعود إلى كتب الأدب العربي ويأخذ منها نموذجا أو أكثر ويرسل به إلى زملائه فيعملون فيه الرأى والذكاء محاولين الإجابة التي قلما تكون صائبة، كما أن بعضهم كان يلغز تقية أو تلمحا أو نحو ذلك من الأغراض[44].

وهناك لغز في الميراث تبادله محمد الطنبي ومحمد القوجيلي وكانت إجابة القوجيلي فيه طويلة بدأها بقوله :

---

44 - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص297.

طربت لما بدا لي نظم عقود اللآل

فرائد الحسن فيها دارت بجيد غزال[45]

4- الشعر الذاتي :

يعتبر الشعر الذاتي من أصدق ألوان الشعر ، لأن الشاعر فيه يستمد وحيه من عالمه الخاص ، فلا مغريات ولا مناسبات ولا مطالب تلح عليه لقرض الشعر، وقد جرت العادة أن نعد من الشعر الذاتي شعر الوصف والغزل والتأمل والشكوى والحنين إلى الأوطان والكشف عن أحوال النفس في أحوال الانقباض أو الانبساط، ولكن الشعر الذاتي ليس كله أو ليس بالضرورة صادقا دائما ، فهناك من الشعراء من كان يتكلف الوصف أو الغزل فيأتي شعره باهتا باردا لا حياة فيه ، ومنهم أيضا من لا تطاوعه اللغة والخيال فيقصر عن التأثير في نفوس الآخرين، وقد حفل الشعر في العهد العثماني بعدد من القصائد الذاتية التي قيلت في الأغراض التي ذكرنا، فجاء بعضها جيدا وبعضها وسطا ، ومن أبرز الشعراء الذاتيين محمد بن محمد المعروف بابن علي الذي سنتحدث عنه بعد قليل وأحمد بن عمار وسعيد المنداسي وأحمد المقرى[46].

---

[45] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص298

[46] - المرجع نفسه، ص300.

المحاضرة رقم07: – الشعر الجزائري القديم – أغراضه وأبرز أعلامه–4

1– الشعر والمرأة :

لعل غياب المرأة في المجتمع الجزائري هو الذي جعل شعر الغزل قليلا نسبيا، فالشعراء كانوا لا يتحدثون عن المرأة بعينها حين يتغزلون وإنما يصفون المرأة من الوجهة المجردة ، فكانت صورهم الشعرية أما مأخوذة من الماضي ، وأما غير منطبقة على الواقع ، وأما خيالية قل من يحس بها . وقد عزا بعض الكتاب الأوروبيين ما وجده من خشونة في الطبائع والألفاظ لدى الجزائريين إلى كون المرأة لا تتحرك وسط المجتمع[47].

2– الوصف :

وكثيرا ما كان وصف الحبيبة طريقا إلى وصف الطبيعة والعكس ، ومن شعراء وصف الطبيعة بلا منازع أحمد بن عمار ، فقد وصف الرياض والمتنزهات وما فيها من جمال ظاهري يسحر العين ويثلج الصدر[48].

3– الحنين والشكوى :

وعاطفة الحنين إلى الوطن عاطفة قديمة في الإنسان ولكن الشعراء جعلوا منها أحيانا عاطفة وطنية في عصر ليس هو عصر القوميات ، وقد كان الوطن عند

---

47 - المرجع نفسه، ص301.
48 - المرجع نفسه، ص305.

بعض الشعراء القدماء هو مربع القبيلة ومرتع الصبا ، ثم صار عند المتأخرين منهم هو البلد الذي فيه قوم الشاعر وتحده حدود السياسية ويرفرف عليه علم ذلك البلد ورمزه ، ونحن حين نتحدث عن الحنين إلى الوطن عند الشعراء الجزائريين في العهد العثماني فإننا نتحدث عن هذه العاطفة التي تقف بين الحنين إلى موطن القبيلة وموطن العلم والقوم[49].

المحاضرة رقم08: النثر في الأدب الجزائري القديم-مضامينه وأعلامه-1

نعني بالنثر هنا النثر الفني أو الأدبي ، وهو يشمل المقامات والرسائل الرسمية (الديوانية) والاخوانية، والوصف ، والتقاريظ ، والتعازي ، وعقود الزواج، التي تفنن فيها أصحابها والإجازات المنمقة ، والشروح الأدبية ، و القصص، والخطب، نقف مع جملة من هذه الفنون النثرية انطلاقًا مما جاء في كتابي تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، والأدب الجزائري القديم لعبد المالك مرتاض.

1- الشروح الأدبية :

هي ظاهرة أخرى تلفت النظر في الأدب الجزائري وهي أن الأدباء بدل أن يخترعوا القصص والروايات أو يؤلفوا في الظواهر الثقافية والنقد عمدوا إلى شرح الأعمال الجاهزة ، ونحن هنا لا نقصد شرح الأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية، ولكننا نقصد شرح الأعمال الأدبية ، والشرح الأدبي قد يكون على قصيدة نظمها

[49] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص308.

الشارح نفسه وقد يكون على قصيدة أو عمل أخر لغيره ، وقد حفل الإنتاج الجزائري بالنوعين .من ذلك قصيدة سعيد المنداسي المسماة ب (العقيقة) التي تداول على شرحها كل من أبي رأس الناصر وأحمد بن سحنون الراشدي ، وشرح لامية العجم لمحمد بن أحمد بن قاسم البوني ، وشروح المواعظ والحكم والحلل الحريرية لأبي رأس أيضا ، ولعل شرح الشواهد النحوية يدخل أيضا في هذا الباب كما فعل عبد الكريم الفكون في شرح شواهد أبي يعلى[50].

وكان وأحمد بن سحنون الراشدي مبدعًا في هذا الشرح؛ وكأنه أراد أن يكون في مستوى الشاعر في العلم والأدب ، فملأ شرحه بالأخبار الأدبية والتاريخية، سيما تاريخ الإسلام الأول الذي تعالجه القصيدة، ولم يقسم الشرح إلى فصول وإنما تشكل كل بيت من العقيقة قسما أو فصلا مستقلا ، فهو يذكر البيت ثم يشرحه لغويا وأدبيا ويأتي إليه بالشواهد والأخبار ، وهذا هو سبب الاستطراد والطول ، ويدلنا مطلع الشرح على ذوق إبن سحنون ومراميه ، فقد بدأه هكذا ((الحمد لله الذي وشح مطالع المعاني ببدائع البيان))[51].

ولأبي راس عدة شروح أدبية أخرى نذكر منها شرحه على مقامات الحريري الذي سماه (الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية)، وقد ذكر في (فتح الإله)

---

[50] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص181/180.
[51] - المرجع نفسه، ص183.

أن له شرحين من ذلك وهما الكبير والأكبر [52] ومهد لشرحه بمقدمة هامة عن حالة الأدب في عصره ، وعن دافعه إلى شرح المقامات ، كما ذكر من سبقوه إلى شرحها .والواقع أن عمله الذي اطلعنا عليه عبارة عن خزانة أدب أظهر فيه براعته في المحفوظات وذكر العجائب والغرائب واللطائف والنوادر والأشعار والحكايات من تاريخ الأدب العربي ، ولا سيما القديم والوسيط منه، وقلما تعرض أبو رأس لأهل عصره فيه ، وهذه بعض عباراته[53]((الحمد لله الذي أعلى مقامات أهل الفصاحة، وأضاء بهم كل فناء للكلام العربي وساحة ، حتى سما على غيره وامتاز ، بلطائف الآداب واللغا. وأفرغوا معانيها في قالب الإيجاز، وشيدوا مبانيها بدلائل الإعجاز، نظما ونثرا باهر الصدور والإعجاز وأتحفوها بطرف الكناية والمجاز))[54].

2- التقاريظ و الإجازات والعقود:

<< ومن أشكال النثر الأدبي أيضا التقاريظ وبعض الإجازات والعقود والتعازي ونحو ذلك مما كان النثر فيه وسيلة للتعبير دون الشعر وفي التقاريظ تسيطر الروح الاخوانية على الأسلوب ، وتبرز ثقافة الكاتب الأدبية واللغوية ، ولدينا جملة من هذه التقاريظ التي كان يتناولها العلماء والأدباء على السواء ، وكانت في موضوعات

---

[52] جاء في المجلة الإفريقية 1864، 152، ان رئيس المكتب العربي في مدينة معسكر ، وهو السيد مونان ، وقد أهدى نسخة في جزئين من الحلل الحرارية إلى المكتبة الوطنية – الجزائر ، والنسخة مجلدة تجليدا أنيقا ومكتوبة بخط مغربي جميل .

[53] إطلعنا على الجزء الأول فقط وهو ضخم السبم ، جميل الخط ، مذهبا ، حسن التجليد ، بلغ 257ورقة مع بياض من 147 إلى 150، أنظر المكتبة الوطنية – الجزائر رقم 1893، وفي فاتحة النسخة أربعة أبيات في مدح هذا الشرح نظمها السنوسي ابن الحاج عبد القادر الراشدي، وفيها أيضا أمضاء أحمد بن حنيفي عبد الله العسكري .

[54] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص185.

فقهية كما كانت في موضوعات أدبية أو غيرها ، فالمهم هنا هو الأسلوب الذي كتب به التفريط وليس الموضوع المقرظ .

أما الإجازات فقد عرفنا أنها تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة ، ولكن صيغة بعض الإجازات رغم موضوعها وثبوتها على شكل واحد تقريبا ، وكانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي ، لأن أصحابها كانوا من الأدباء المهرة فيضفون عليها طابعهم وذوقهم ، وبذلك تصبح الإجازة أيضا قطعة أدبية من حيث الأسلوب على الأقل . ولدينا شواهد على ذلك أيضا .

وبالإضافة إلى ذلك كان الكتاب يتفننون في كتابة العقود ، لا سيما عقود الزواج ويظهرون براعتهم اللغوية والأسلوبية حتى أصبح العقد النموذجي يقلد في المناسبات المشابهة ، وكان بعض القضاة أدباء أيضا يحذقون اللغة ويتذوقون الأسلوب الأدبي، فكانوا يمزجون ثقافتهم الفقهية والقانونية بثقافتهم الأدبية واللغوية ، وبذلك أعطونا نماذج من العقود التي غلب عليها الطابق الأدبي .

وفي أغلب الأحيان كان المقرظ يمزج في تقريظه بين النثر والشعر ، ويحفل العهد العثماني بعدد من هذه التقاريظ ، ونود أن نذكر منها تقريظ أحمد بن عمار لكتاب (الدر على المختصر) الذي وضعه ابن حماد وش في المنطق[55]، وكان ابن عمار، كما سنعرف ، من أقطاب الصنعة الأدبية نثرا وشعرا ، وكان غالبا ما يسجع ويكثر

---

[55] ينظر رحلة ابن حمادوش ، مخطوطة ، والتقريظ في حوالي أربع صفحات .

من المحسنات البديعية ، ومما جاء في تقريظه للكتاب المذكور نثرا قوله ((تاهيك به مؤلفا جموعا ، مبذولا خيره لا ممنوعا قد أحكم فيه الرصف والالتئام ، واستخدام لطائف المعاني في بديع الكلام ، حتى أفض عن (المختصر) الختام ، وكشف عن وجوه خرائده اللثام ، ووضع كنوز فرائده على طرف الثمام، فأصبح به إذ ذاك في أعلا الذرى ، وطلع في سماء المعالي والمكارم بدرا ، هذا ولا عيب فيه أنه كتاب صغر جرما ، وغزر علما ، قد أودع فيه من لطائف المعاني العجيبة الرائقة ، والألفاظ البديعة الفائقة ، ما هز به أعطاف الآداب ، واستمال قلوب أولى الألباب وقد ختم ابن عمار تقريظه بستة أبيات من الشعر على هذا النحو: هنيئا هنيئا أيا مختصر بشرح بديع جموع أغر[56].

ومن التقاريظ الجيدة أيضا ما كتبه أحمد بن عمار سنة 1196في تقريظ رسالة في التوحيد ، ألفها صديقه الوزير التونسي الحاج حمودة بن عبد العزيز صاحب (الكتاب الباشي) ، وتذكر المصادر أن التقريظ يقع في صفحتين ونصف من الحجم الكبير وأنه بخط صاحبه وختمه وقد أجاد فيه ابن عمار ، كعادته ، في اتخاذ الصنعة البيانية والبديعية ، وذكر فيه أن حمودة بن عبد العزيز قد أصاب المحز في أجوبته على الأسئلة التي كان قد وجهها له بعض علماء قسنطينة ، وأشاد به لأنه من أهل السنة، ومما جاء فيها قوله : ((وقد أطلعني ..... على الرسالة

---

[56] - المرجع نفسه، صص189/190/191.

المحبرة ، المنقحة المحررة ، التي لهذا التاريخ أملاها ، أولاها من باهر التحقيق والتدقيق ما أولاها ، وضمنها أجوبة على أسئلة كلامية وردت .على الحضرة ، ذات البهجة والنضرة ،فنظرتها بعين المنة والإنصاف ، مجانبا للتعصب والتعسف شيمة سليمي الصدر كاملي الأوصاف ، أيه أيها الساري ولا رفيق ، إلا التوفيق ، ويا أيها الشاري خد أحرار النفوس فكل لذلك الطبع الرقيق رقيق))[57].

وما دام الطابع الأدبي هو الغالب على ابن عمار فان إجازته أيضا قد اصطبغت بهذا الطابع ، وقد منح لغيره عدة إجازات مثل إبراهيم السيالة التونسي ، وعبد الستار بن عبد الوهاب الملكي الهندي ، وله ثبت كما عرفنا ، ولدينا نموذج من إجازته لمحمد خليل المرادي الشامي ، وهي رغم قصرها جيدة النسج قوية العبارة و مسجعة في أغلبها ، ومما جاء فيها قول ابن عمار بعد التحميد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ((فقد روينا بتوفيق الله ويمنه ، وإعانته وعونه ، عدة وافرة ، مخدراتها سافرة ، من كتب العلوم الشرعية ، والفنون المرعية ، من منقول ومعقول ، وفروع وأصول ، ورقائق وآداب ، وسائر ما يجذب بتلك الأهداب، عن مشائخ جلة ، يروق بهم الدهر وتزدهي بهم الملة ، من أهل الغرب والشرق، وجهابذة الجمع والفرق ، فمن أهل الحرم الملكي ، من سطع عبير ذكره سطوع الأرج المسكي، خاتمة المسندين ، وأول القداة المرشدين .. هذا وقد أجزت السيد المستجيز المجاز ،

---

[57] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص192.

ورجل الحقيقة لا المجاز ، مفتي الشام ، والغيث الذي تستمطر بروقه وتشام ، السيد محمد خليل المذكور أعلاه ، دام فضله وعلاه[58].

ومن الإجازات الأدبية الجيدة نجد إجازة عمر المانجلاتي إلى ابن زاكور المغربي ، وهي بالطبع أقدم زمنا من إجازة ابن عمار ، وكان المانجلاتي من الفقهاء الأدباء ، فقد درس على سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الأنصاري ، وبدأ الإجازة بالسجع ثم استرسل ، فكأن السجع ، مثل الشعر ، يقصده الكتاب للتعبير عن خلجات أنفسهم ، فإذا تناولو الحقائق المجردة عمدوا إلى النثر المرسل ، وهذا نموذج من الجزء المسجع من الإجازة((وبعد ، فقد اجتمعت بالشباب الأديب ، الأريب الحاذق اللبيب ، السيد محمد بن قاسم ابن زاكور ، فرأيت من حرصه واعتنائه واشتغاله بما يعنيه ما أعجبني وفيه قابليه لما يلقى إليه من ذهن ثاقب ، وفهم صائب، ومشاركة في فنون من العلوم ..فطلب مني أن أجيزه فامتنعت لأني في نفسي لست من أهل هذا الشأن ، ولا من فرسان ذلك الميدان ، فألح علي المرة بعد المرة لظنه الجميل ، إني من هذا القبيل ، فأسعفت طلبته حرصا على جبر خاطره ، خشية من كسر قلبه ، لأن كسر القلوب في كسر القلوب وجبرها في جبرها ، فأجزته أن يروي عني ما رويته عن أشياخي من الفنون التي أسردها بشرطها المعتبر ، عند أهل النظر ...))[59].

---

58 - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص193.

59 - المر جع نفسه، ص194.

المحاضرة رقم09: النثر في الأدب الجزائري القديم-مضامينه وأعلامه-2

1- الرسائل :

احتلت الرسائل في كل عصر حيزا كبيرا من اهتمام الأدباء والموظفين والأصدقاء والأحباء ، ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى رسمية (ديوانية) وإخوانية، وقبل الخوض في كل نوع نود أن نذكر بأن بعض الجزائريين كانوا مكثرين في كتابة الرسائل وبعضهم كانوا مقلين ، وهذا بالطبع يعود إلى مزاج كل أديب ومدى علاقاته الإنسانية والاجتماعية ، فعبد الكريم الفكون مثلا كانت له علاقات كثيرة ومراسلات تبعا لذلك ، وكذلك كان الأمر مع أحمد المقري، وسعيد قدورة وأحمد بن عمار، ومن حسن الحظ أن الوثائق تحفظ لنا نماذج من هذه الرسائل الإخوانية ، ويبدوا أن بعضهم كان متميزا في عصره بكتابة الرسائل الجيدة كما كان غيره متميزا بنظم الشعر الجيد. جاء في رسالة القالي لبكداش : ((جل الله تعالى مالك الملك ، ومقيم قسطاس العدل بما أراده من اعزاز السادات الترك. جمع سبحانه وتعالى بهم كلمة الدين الحنيف ، وأثرهم بهذا الملك الكبير وهذا العز المنيف ، وشرفهم بما وهبهم من الرتب العالية ، وهم أصل للرفعة والتشريف ، وخصم مكارم الأخلاق ونزاهة الأقدار، وجعلهم بهذا القطر رحمة للعباد ، وأخمد بشوكتهم نار الفتنة والعناد[60].

---

[60] - المرجع نفسه، ص196.

ومهما كان الأمر فإن هذه الرسائل جميعا تعتمد النثر المسجوع وتضمن النص آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأخبارا تاريخية وأحيانا بعض الأبيات الشعرية أما من نظم الكاتب أو من محفوظاته الخاصة ، كما أنها تهتم بالمحسنات البديعية كثيرة، واستعمال التلغيز والتلميح والتورية ، وتسير على طول المقدمة أو الديباجة والتفنن فيها بصفة خاصة ، والدعاء للمرسل إليه ، ونحو ذلك من الأساليب الإنشائية التي لم تكن بدعاء في حد ذاته[61].

وفي رحلة ابن حمادوش نص رسالة تعزية عزاه بها المفتي محمد بن حسين عند وفاة أحد أبنائه ، وقد اعتذر المفتي عن عدم حضور الجنازة شخصيا ، وضمن رسالته آيات قرآنية وأحاديث نبوية في الحث على الصبر والتحمل عند الفجائع، والرسالة مسجعة ولكنها غير ثقيلة تثقل بعض القطع النثرية عندئذ ، ومما جاء فيها قول المفتي ((فقد بلغنا ما أحار الأذهان وأشجاها ، وأطار النور من الأجفان وأبلاها ، وأضرم لواعج الأشواق ، وأذكى زواعج الاحتراق ، بالذي صدع أحشار القلوب وأفاض على صحن الخد الدموع من الغروب .... حتى أدركتني محنتك وموت ولدك فأخذتني الصدمة ، وهيجت لي المحنة ، فلقد رمانا الدهر بسهام صروفه فأصمانا ، وتعهدنا خطبة فهد عروشا وأركانا ، فاصبر له صبر الأجواد، إنما صبر الكريم على الرزية أجمل[62].

---

[61] - - المرجع نفسه، ص200.
[62] - - المرجع نفسه، ص205.

2- الوصف :

وهناك لون أخر من النثر الأدبي ، ونعني به الوصف ، ووصف مظاهر الطبيعة أو وصف القصور والمدارس ونحو ذلك من المنشأت البشرية ، أما وصف المرأة فالغالب أنه كان بطريق الشعر لا النثر ، ويدخل في الوصف أيضا وصف الكتب والخيل وغيرها من الحيوانات ، ووصف القوافل والمدن ، ويمكننا أن نضيف إلى هذا اللون الوصف المعنوي كوصف المشاعر الإنسانية عند الحج ، ووصف أثر نكبة من النكبات على الإنسان، أو الحديث عن معركة طغى فيها الحس الديني إلى غير ذلك ، فالمقصود بالوصف هنا الوصف الحسي والمعنوي ولكن قليل فقط من الكتاب الجزائريين لجأوا إلى الوصف بالنثر للتعبير عما كان يختلج في أنفسهم من المشاعر.

وأبرز من عالج هذا الموضوع أحمد بن عمار ، فقد وصف مشاعره الذاتية عند اعتزامه أداء الحج سنة 1166 فأجاد الوصف بأسلوبه المحكم المعهود ، ومن ذلك قوله في هذا الصدد : ((لما دعتني الأشواق ، النافقة الأسواق ، إلى مشاهدة الآثار، والأخذ من الراحة بالثأر ، وإن أهجر الأهل والوطن ، وأضرب في عراض البيد بعطن ، وان أخلع على السالين الساكنين الكرى ، وامتطى ظهر السهر والسرى، لبيت داعيها، وأعطيت كريمة النفس ساعيها ، علما مني أن ليس يظفر بالمراد ، من لم يتابع الإصدار للإيراد .. ولما انبرى هذا العزم وانبرم ، والتظى لا عج الشوق

وانضرم .شرعت إذ ذاك في المقصود ، وأعددت طلسم ذلك الكنز المرصود ، وأخذت في أسباب السفر[63].

3- الخطابة :

تعتبر الخطابة من أبرز فنون النثر في الأدب العربي ، وكانت ميادينها وأغراضها متعددة ، تشمل الدين والسياسة والاجتماع والعسكرية ونحو ذلك ، وقد ألفت في ذلك الكتب مع وصف دقيق للخطيب وشروطه وفن الخطابة وشروطها أيضا ، وقد عرف الجزائريون هذا النوع الأدبي عندما كان ساستهم يتحدثون لغة المواطنين ويحذقونها ، وعندما كان علماؤهم متمكنين من قواعد اللغة متمرسين على استعمالها منذ نعومة الأظافر ، فإذا ارتجلوا بها القول أجادوا مع رباطة جأش وفصاحة لسان وقوة كلمة[64].

<< وكانوا يتفننون في هذه الخطب فلا يكتفون بالكلام المسجع أو المرسل ، بل كانوا يضيفون إلى ذلك بعض القيود ومحاولة التأثير بها على السامعين ، فقد قيل أن سعيد المقري كتب خطبة عارض فيها خطبة القاضي عياض التي ضمنها التورية بأسماء سور القرآن الكريم ، وتبدأ خطبة المقرى ، التي يبدوا أنها خطبة جمعة أيضا

---

63 -- المرجع نفسه، ص207/206.

64 - أبو القاسم سعد الله،- المر جع نفسه، ص211.

هكذا ((الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفي من آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا))[65].

المحاضرة رقم10: النثر في الأدب الجزائري القديم-مضامينه وأعلامه-3

1- القصص والمقامات :

لم يشع في الأدب الجزائري ما يسمى بالأدب القصصي إلا قليلا، وتذكر المصادر أن الأدب الشعبي كان غنيا بالحكايات والقصص التاريخية البطولية أو الملحميه ، ولكنها كانت شفوية ، ولا يوجد من المكتوب منها إلا القليل النادر، وكانت تستوحي موضوعاتها من التاريخ الإسلامي والعربي وألف ليلة وليلة ، وعنتر بن شداد وبني هلال ، وحتى من تاريخ الجزائر في العهد العثماني . ومن هذا الأخير قصة غرام عروج بربروس مع زافرة زوج سليم التومي[66].

<< وأظهر كاتب استعمل المقامة هو محمد بن ميمون في ترجمته لحياة الباشا محمد بكداش ، والغريب أن ابن ميمون قد سمى كتابه في ذلك (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية)، ولم يسمه مثلا المقامات المرضية أو نحو ذلك من التسميات حتى تتسق مع المحتوى ، وقد جمع ابن ميمون ذلك في ست عشرة مقامة ، وجعل كل مقامة عبارة عن فصل من سيرة الباشا وأعماله ، فمثلا

---

[65] - المرجع نفسه، ص214.
[66] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص201.

المقامة الأولى في نبذة من أخلاقه ، والثانية في تعيينه سنجق دار ، والثالثة في توليه تقسيم خبز العسكر ، والرابعة في توليه الحكم ، الخ . ولعل هذه التسمية هي التي جعلت بعض النساخ يكتبون على التحفة عبارة (مقامات ابن ميمون)[67].

وأقرب مثل إلى المقامة التقليدية مقامة أحمد البوني المسماة (اعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار) ، وكان البوني قد كتبها سنة 1106، وموضوعها هو علاقة العلماء بالسلطة والاستنجاد بصديقه مصطفى العنابي ، والشكوى من وشايات أهل العصر ، وهي بدون شك تقرب في أسلوبها وطريقتها من أسلوب وطريقة المقامة المعروفة ، وفيها كثير من الخيال والأغراب والتهويل ، ولكنها مع ذلك تقص أمرا واقعا وتذكر أشخاصا حقيقيين ، وتقع المقامة في أربع صفحات ، وهي تبدأ هكذا ((الحمد لله الذي جعل المصائب وسائل لمغفرة الذنوب ، والنوائب فضائل لذي الأقدار والخطوب ، وسلط سبحانه وتعالى على الأشراف ، أرباب الزور والفجور والإسراف .. وبعد ، أيها العلماء الفضلاء ، النبلاء الكملاء ، فرغوا أذهانكم ، والقوا أذانكم ، وتأملوا ما يلقى إليكم من الخبر الغريب ، وما يرسله الله تعالى على كل عاقل أريب >> ص 218 تاريخ الجزائر الثقافي[68].

2- الرحلات:

---

[67] - المرجع نفسه، ص217.

[68] - المرجع نفسه، ص218.

أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولا سيما خلال القرن التاني عشر (18م) ، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية ، ولكن الجزائريين ، بالقياس إلى كتاب الرحلات المغاربة ، كانوا قليلي الإنتاج .ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظتهم إلى مواطنيهم ، فلو رجع عيسى الثعالبي ويحيى الشاوي وأحمد المقري وأحمد بن عمار وأضرابهم لكتبوا رحلاتهم ، ولكنهم لم يفعلوا[69].

المحاضرة رقم11: تراجم أعلام الأدب الجزائري القديم

1- بكر بن حماد التاهرتي : 296-200هـ (909-816م)

العلامة الأديب صاحب النظم العجيب والإنشاء الغريب المشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والأدب ... بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي ... ولد ونشأ { بتيهرت }، ورحل إلى الشرق سنة 217هـ ، وهو حدث السن ... فسمع بالمشرق من العلماء والفقهاء وكان عالما بالحديث وتمييز الرجال وكان شاعرا مفلقا ، ومدح المعتصم ووصله بصلات جزيلة واجتمع بحبيب وصريع ودعبل وعلي بن الجهم وغيرهم من الشعراء[70]، ولما عاد من المشرق ، قصد القيروان فوشي به

---

[69] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص396/395.

[70] - سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضة، القسم الثاني ط3، 2002م، صص91/90.

إلى صاحبها ، فهرب وكان معه ابنه عبد الرحمن ، فاعترضهما في الطريق بعض اللصوص فجرحوا بكرا وقتلوا ابنه، وذهب هو في طريقه إلى أن وصل (تيهرت) كئيبا حزينا يندب ابنه عبد الرحمن هذا ، وكانت له فيه مراث كثيرة تسيل الدموع وتجرح الفؤاد لما بها من الألفاظ المؤثرة الدالة على عظيم أسفه وتلهفه عليه ومنها قوله :

بكيت على الأحبة إذ تولـــوا ولو أني هلكت بكوا عليـــا

فيا نسلي بقاؤك كان ذخـــرا وفقدك قد كـوى الأكبـــاد كيا

كفى حزنـا بأني منك خلـو وأنـك ميت وبقيـــت حيـــا[71]

2- الإمام أفلح الرستمي التاهرتي : (854م) 240هـ

هو الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثالث الأئمة الرستميين بتاهرت بويع بالإمامة بعد وفاة أبيه عام 190هـ (805م)، وكان مرشحاً لها حياة والده وكانت سيرته في الرعية سيرة حسنة وكانت أيامه أيام رخاء ويسر...كان الإمام أفلح من دهاة الإباضية يعامل خصومه باللين تارة وبالشدّة أحيانا وكان مبرزا في

[71] - المصدر نفسه، صص91/92.

العلم والعرفان والآداب وله شعر جيد رقيق يدل على تفوقه ونبوغه وفضله[72]، له في النظم والنثر، من ذلك قصيدة في فضل العلم مما جاء فيها:

.العلم أبقى لأهل العلم أثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

2.حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

3.وذ حياة على جهل ومنقصة كميت قد ثوى في الرمس أعصارا

4.لله عصبة أهل العلم إن لهم فضلا على الناس غيابا وحضارا

5.العلم على كفى بالعام مكرمة والجهل جهل كفى بالجهل إدبارا

6.العلم عند اسمه أكرم به شرفا والجهل عند اسمه أعظم به عارا

7.يشرف العلم للإنسان منزلة ويرفع العلم للإنسان أقـــــــدارا[73]

وله في فن الرسالة الكثير من ذلك رسالة الإمام أفلح إلى بعض العمال:

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد ، سلام عليك وإني أحمد الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أله .

(أما بعد) ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر في خير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن أدم وما عفى به من فاز برحمته من عظيم خلقه السموات والأرض والجبال والشجر .وأذكر لما أعده الله لابن

---

72 - محمد بن رمضان شاوش، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، (م س)، ص21.

73 - المصدر نفسه، ص23.

أدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها فلو تكن كرامة تطلب إلا للنجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم وما يفارقوا جميع اللذات إلا أني أقول لك أن الدواء في هذا هو الاستغاثة إلى الله في العصمة[74].

الإمام أفلح الرستمي

3- أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري التلمساني:

شيخ المشائخ ... سيد العارفين وقدوة السالكين"[75] ، وقد كان " قوالا للحكمة ناظما للشعر "[76]، أبو مدين مدين شعيب من أقطاب التصوف البارزين ومن شعره:

بَكَتِ السَّحَابُ فَأَضحَكَتْ لبُكائِها ... زَهْرَ الرِّيَّاضِ وَفَاضَتِ الأَنْهَارُ

وَقَدْ أَقْبَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِحُلَّـةٍ ... خُضْـرًا وَفِي أَسْرَارِهَـا أَسْـرَارُ

وَأَتَـى الـرَّبِيعُ بِخَلِيْـهِ وَجُنُودِهِ ... فَتَمَتَّعَتْ فِي حُسْنِـهِ الأَبصَـارُ[77]

2-عفيف الدين التلمساني:

من شعراء القرن السابع الهجري " هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي، كومي النسب ، تلمساني المنشأ ، تلقى بها علومه الأولى ، ولطلب العلم ارتحل إلى كثير من الحواضر العربية و الرومية ، واستقر بدمشق..... انتهج التصوف طريقة

---

[74] - الباروني ، المصر نفسه، صص245/244.

[75] المرجع نفسه ، ص 108 .

[76] مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا والتشكيل)، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 ، ص15 .

[77]-أبومدين شعيب ، الديوان ، جمع : العربي بن مصطفى الشوار ، مطبعة الترقي بدمشق ، ط 1 ، 1938م ، ص 63.

في تهذيب النفس وتقصي الحقيقة واتبع منهج الإمام محي الدين بن عربي ، له شعر حسن ، يميل إلى الغموض إذ غلب عليه الرمز الصوفي ... توفي بدمشق سنة 690 هج / 1291 م عن عمر يناهز 80 حولا "[78]، ومن قوله في التصوف :

شهدْتَ نَفْسَكَ فِينَا وَهِيَ وَاحِدَة كَثِيرَة ذاتُ أَوْصَاف وأَسْمَاءُ

ونَحْنُ فيكَ شَهِدْنا بعد كَثْرَتِنا عَيْنًا بِهَا اتَّحدَ المَرْئي ، والرَّائي

فَأَول أنتَ من قبْل الظهور لنَا و آخر أَنْت عن النَّازِحِ النَّائِي[79]

3- ابن خميس التلمساني:

من أشهر الشعراء المتصوفة ولد "بتلمسان سنة 650 هـ أوقبلها بقليل (...) كان ابن خميس شاعرا عصاميا. من قوله في الزهد :

فلا تَرجُ من دُنيَاكَ وّدًا وإن يكن فما هو إلا هو مثل ظلِّ سحاب

وما الحَزْمِ كُل الحَزْمَ إلاّ اجْتِنَابُها فأشْقَى الورَى مَنْ تَصْطَفِي وتُحَابي"[80]

و قد كان ابن خميس من فحول الشعراء ، وأعلام البلغاء حافظا لأشعار العرب وأخبارها أقدر الناس على اجتلاب الغريب دبَّاجا لا نظير له"[81] ، كتب في الزهد والتصوف واشتهر بذلك.

4- أبو حمو موسى الثاني :

---

[78] -عبد القادر بوعرفة الهلالي ، أعلام الفكر و التصوف بالجزائر ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، ج 1، (د ط) ، 2004 ، ص 52.

[79]- المصدر نفسه ، ص 32 .

[80]-نفسه ، ص 248 .

[81]- محمد بن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان ، (م س) ص 236

يتصل نسب أبي حمو موسى الثاني بمؤسس الدولة العبد الوادية يغمراسن ابن زيان ، فهو أبو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان أبي يحي بن يغمراسن (...) ولد أبو حمو بالأندلس ، في مدينة غرناطة ، عاصمة بني الأحمر ، سنة (723 هـ) ، وفي تلك السنة عاد به أبوه إلى تلمسان (...) وعن حياته الأدبية فقد " كان كاتبا بارعا وشاعرا مفلقا يقرض الشعر ويكرم الشعراء وهو الذي كان يحتفل في مشوره بتلمسان ليلة المولد النبوي الشريف غاية الاحتفال وكان ينظم قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي أول ما ينشد في المحفل لم تنشد بعدها ما رفع إلى مقامه في تلك الليلة من القصائد"[82]، ومن قصائده التي نظمها بمناسبة الاحتفال بمولد سنة (761 هـ) ، نقتطف هذه الأبيات:

قِفَا بَيْنَ أَرْجَاءِ القِبَابِ وَ بِالحيّ وحيٍّ دَيَّارًا للحَبيب بها حَيّ

وَعـرِّجْ عَلَى نجد وسَلْـع وَرَامـة وَسَائِل فَدَتْكَ النَفْسُ في الحي عن مي"[83]

5- **محمد بن سليمان المعروف بالشاب الظريف:**

والملقب بشمس الدين سليمان بن العفيف التلمساني ولد له هذا الولد بالقاهرة عام 661 هـ (1263 م) ونشأ بدمشق وولي عمالة الخزانة فيها وكانت وفاته بها عام 688 هـ (1289 م) كان الشاب الظريف شاعرا مجيدًا (...) و

[82] محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، (م س) ، ص 136

[83] عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 345

أكثر شعره في الغزل و بعضه في المديح النبوي "[84] ، من شعره الديني في مدح المصطفى صلّى الله عليه وسلم :

أَرْضُ الأَحِبَّةِ مِنْ سَفْحٍ وَ مِنْ كَثَبِ سَقَاك مُنْهَمِرِ الأَنْوَاءِ مِنْ كثب

وَ لاَ عدت أهلك النّائين من نفسٍ الحسبا تَحِيَّةَ عَانِي القَلْب مُكْتَئِب

قَوْمٌ هَمَّ العَرَب المَحْمي جَارُهم فَلاَ رَعى الله إلاَّ أَوَجُهَ العَرَب[85]

6- أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني:

تشير المراجع إلى أن وفاته كانت " أوائل القرن السابع الهجري هو من أهل بيت الفكون المشهور في قسنطينة بالشرف و العلم و الأدب والتصوف والرياسة ، وهو فيهم من الأدباء الذين استظرفت أخبارهم وراقت أشعارهم ، كان غزير النظم والنثر (...) وقد نال لقب شاعر المغرب الأوسط في وقته"[86] .

7- محمد بن يوسف القيسي المعرف بـ: الثغري:

ترجمت لهذا الشاعر معظم كتب التراجم ، " وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي ويقال له الثغري أيضا الأندلسي الأصل التلمساني المولد و المنشأ والدار كان من جملة الموظفين ببلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني لكننا نجهل

---

[84]-محمد بن رمضان شاوش ، (م س) ، ص 118 .

[85] شمس الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف ، الديوان ، تح : العربي دحو دار الهدي عين مليلة ، الجزائر ، (د ط) ، 2011م ، ص 50 .

[86] -مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر ، دراسة ببليوغرافيا ،(م س) ، ص90 .

تاريخ وفاته كما نجهل تاريخ ولادته وكل مانعلم عنه أنه كان على قيد الحياة بين عامي 760 هـ و 776 ، من شعره قصيدة قيلت ليلة مولد النبوي صلى الله عليه وسلم سنة 771هـ، تطهر بها نفحات زهدية إلى جانب مشاعر الشوق إلى الرسول الكريم و البقاع المقدسة نقتطف منها مايلي :

أَقَصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافَانِي أَنْكَرَتْنِي الغَواني بعْد عِرْفَانِ

وقَدْ تمادَيْتُ في غي بِلا رُشد والنّفسُ تَأْمُرُنِي و الشَّيب يَنْهَانِي"[87]

8- محمد بن مرزوق الخطيب :

هو أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق الذي اشتهر بألقاب : الخطيب ، والجد ، والرئيس.

ولد بتلمسان آخر عام 710 هـ (1310 م) ، واعتكف على حفظ القرآن الكريم منذ صغره ، وتعليم مبادئ اللغة العربية و آدابها بتلمسان "[88] ومن شعره الديني متضرعا إلى الله تعالى :

رَفَعْتُ أُمُورِي لِبَارِي النّسم ومُوجِدُنا بَعْد سَبق العَدَمِ

مُمِيتُ الخلائِقِ بعْدَ الحَيَاةِ ومُنْشي العِظامِ و مُحْي الرّمِمِ

وجَامِعُنَا في بِسَاط النُّشُورِ وسُئِلنا يَوْمَ حَشْر الأُمَمِ[89]

---

[87] - محمد بن يوسف القيسي الأندلسي (الثغريالتلمساني) ، الديوان ، جمع وتحقيق و شرح نوار بوحلاسة ، منشورات مخبر الدراسات التراثية ، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2004م ، (د ط) ، ص 153 .

[88] -يحى بوعزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج2 ، ط 1 ، 1995م ، ص 40

[89]- المرجع نفسه ، ص 280 .

9- محمد بن أحمد اللحام :

هو " محمد بن أحمد بن محمد اللخمي أبو عبد الله بن اللحام لقب لأبيه مولده بتلمسان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (...)كان فاضلا صالحا زاهدا ذا حظ من الأدب و الشعر نبيلا واعظ أهل زمانه (...) من قوله :

غريب الوصف ذو علم غريب عليل القلب من حب الحبيب

إذا ما الليل أظلم قام يبكي و يشكو ما يجن من النحيب

يقطع ليله فكرا وذكرا وينطق فيه بالعجب العجيب

به من حب سيده غرام يجل عن التطيب والطبيب

و من يكن ها كذا عبدا محبا يطيب ترابه من غير طيب"[90]

10- محمد بن أبي بكر العطار:

من أدباء القرن السابع إلى الثامن الهجري له آثار أدبية قيمة خاصة في مدح الرسول من شعره في مدح الرسول الكريم ما يلي :

أنوارُ أحمد حسنها يتلألأ المصطفى بُحلى الكمال يحلاَّ

الشّمس تخجل وهو منها أضوأ النّور منه مقسَّم ومجزأ

قدزان ذاك النّور إبراهيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما "[91]

11- عبد الرحمان الثعالبي :ولد سنة 785 هـ (1384 م)

---

[90]- المصدر نفسه ، صص 27 / 28 .

[91]- المصدرنفسه ، الصفحة نفسها .

ولد بواد " يسر " على بعد 86كم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، ونشأ هناك بين أحضان أبويه نشأة علم و صلاح و أخلاق مرضية، ومن شعر عبد الرحمان الثعالبي قطعة شعرية يتحسر على تفريطه، فيقول:

تَمرُّ اللَّيَالي بِنَفْسِي وَمَالِي فَيَا قَوْمُ ، مَالي عَنِ المَوْتِ سَالِي

نَهَاري جِدَالٌ وَ لَيْلِي انْجِدالٌ وَحَوْلِي رِجَالٌ عَلَى مِثْلِي حَالِي "[92]

12- محمد بن أبي جمعه التلالسي التلمساني:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي جمعه التلالسي التلمساني الدار ، كان طبيب السلطان أبي حمو موسى الثاني وهو من أسرة جل أفرادها أطباء ، كان على قيد الحياة بتلمسان مابين عامي 760 هـ (1359م) و 767 هـ (1366 م) ونجهل تاريخ وفاته من قوله في مدح النبي صلَ الله عليه وسلم:

نبيٌّ كـريم شرَّف الله قـدره وَ فَضَّله في القبل و البعد والحال

13- بركات العروسي القسنطيني:

توفي سنة 897 هـ (1492 م) هو بركات بن أحمد بن محمد بن محمد العروسي نشأ في نواحي بسكرة كان شيخا فقيها ورعا، أقام بقسنطينة، اشتهر هذا الشيخ عندما ألَّف كتابا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سمَّاه " وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيّد المرسلين ومن قوله في التشوق إلى الحرم الشريف بالمدينة ومدح النبي صلى الله عليه وسلم مايلي:

---

[92]- المرجع نفسه ، ص 64 .

من لي بتمريغ خدّ و استلام فم في تربها و بمرآها على عجل

برؤية الروّضة العليا التي شرفت على البقاع بقدر من لدنك علي[93]

14- ابن الخلوف القسنطيني:

هو أحمد بن محمد ، بن عبد الرحمان ، الشهاب أبو العباس بن أبي القاسم

ولد شاعرنا في قسنطينة سنة 829 هـ / 1426 م

ومما ورد في ديوانه جني الجنين في مدح خير الفرقتين :

أُحِبُّــك حُــبَّ هيْمـانٍ بـوادٍ شريدٍ تطلّب للماءِ صادِي

أحِبُّــك يا حَبيــب وأنت منِّـي بِمَنْزلــةِ السُّوَيْــدا مِنْ فُــؤادِ

و قَدْ أسْكنْتُ حبَّك في السُّويْدا كَسُكنِي نور عَيْني في السَّوَادِ [94]

إلى أن يقول في القصيدة نفسها :

وَ لاَ عَجَبٌ إذَا نَادَى لِسَانِي بِحُبّ مُحَمَّدٍ في كلّ نَادِي

فَفِيهِ مَحبَّتِي ، وإلَيْهِ أمْرِي ومِنْهُ تَطَلُّبِي، ولَهُ اعْتِدَادِي

رَسُولٌ جَاءَنا بِكتاب حَقٍّ فَأَصْلحَنا مِنْ بَعْدِ الفَسَادِ [95]

15- ابن رشيق القيرواني:

---

[93]- المرجع السابق، الصفحة نفسها .

[94] العربي دحو، المرجع السابق ، ص 125 .

[95]-المصدر نفسه ، ص 426 .

"هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي بالولاء، شاعر، ناقد، مُصنف، أديب فاضل، ولد سنة تسعين وثلاثمائة من الهجرة بمدينة المحمدية بالمغرب؛ فكان يعرف بالمحمدي والمسيلي نسبة إلى "المسيلة" وهو الاسم القديم لتلك المدينة"[96].

وقد "كان أبوه روميا من موالي الأزد فنُسِب إليهم...عاش ابن رشيق بين أواخر القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس القرن الحادي عشر الميلادي، وكانت العلوم والفنون قد تطورت في المغرب تطورا كبيرا وتركزت معظم الأنشطة الاجتماعية والعلمية والأدبية في مدينة القيروان...وكان ابن رشيق يتحرى الصدق والأمانة فيما ينقل فلم يغير أو يجور أو يخل، فيقول مثلا عن"باب التكرار":

وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز إلا ما لا خفاء به على أحد من أهل التمييز واضطرني إلى ذلك قلة الشواهد". تصانيفه قاربت الثلاثين كتابا في الأدب والنقد واللغة والشعر، ومن أبرزها : كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"... وكتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب"، كتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيروان"[97]. من آرائه يمكن الإشارة إلى مفهوم الشعر انطلاقا من النثر الذي هو وسيلة التخاطب اليومي؛ يقول ابن رشيق في العمدة : "وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل

---

[96] –ابن رشيق ، العمدة ، ص5.

[97] –ابن رشيق القيرواني،المصدر نفسه، ص5/6/7.

أبناءها على حسن الشيم؛ فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سم ويضع ابن رشيق شرطاً للشاعر المفلق فيقول: " يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر: من جد وهزل، وحلو وجزل، وأن لا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء، ولا في المديح أنفذ منه في الهجاء، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها، فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم، وحاز قصب السبق، كما حازها بشار بن برد وأبو نواس بعده"[98] يعتبر ابن رشيق من أكبر أدباء عصره وأشهر بلغاء مصره فهو شاعر وكاتب وناقد بل يعتبر أول واضع لفن النقد الأدبي بكتابيه " العمد في صناعة الشعر ونقده " و" قراضة الذهب في نقد أشعاره العرب " الذين يدلان على سعة اطلاعه على كلام العرب وعلى تبحره في الأدب ونقد الشعر[99] .

16- عبد الكريم النهشلي :

من أبرز أعلام المغرب العربي هو " أبو محمد عبد الكريم النهشلي، ولد بالمسيلة وقضى بها أيام شبابه، وأخذ مبادئه الأولية، ثم تاقت نفسه للمزيد من الدراسة والتخصص فرحل إلى القيروان وكانت آنذاك حاضرة العلم والثقافة والأدب والسياسة، فوجد ترحيبا من شيوخها وأمرائها، وبسرعة بدأ نجمه يلمع في الشعر والأدب، والنقد، فقد قال في مختلف الأغراض الشعرية، في الوصف، والرثاء،

---

[98] – ابن رشيق، العمدة، ص 125.

[99] - محمد بن رمضان شاوش، ص71

والمدح، والتغني بالوطن. كان محترما بين أصدقائه وتلاميذه ... تولى التدريس في القيروان، وكان شبابها ينهلون من علمه وثقافته باستمرار . وخاصة الشعراء منهم"[100].

ترك النهشلي آثارا كثيرة، لكنها ضاعت مع ما ضاع من الكتب، "ولم يسلم منها سوى كتابه الممتع، الذى توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية. بعنوان «اختيار الممتع» توفي سنة 405هـ. وأغلب الظن أن هذا التاريخ غير محقق، لأن ابن رشيق كثيرا ما كان يروى عنه ويقول :عن شيخنا عبد الكريم وهذا يرجح في ذهننا أن الرجل عاش أمدا طويلا مكن ابن رشيق من أن يتتلمذ عليه ويأخذ عنه الشيء الكثير"[101]، وقد نبغ في جميع العلوم وخصوصا في الأدب والنقد فاتخذه تميم بن المعز بن باديس [102] كاتبا له وكان من قبل من ندماء والده المعز [103] وقد مدحه في قصيدته التي أوردنا منها أبياتا في وصف دار البحر بالمنصورية وهو من شيوخ ابن رشيق المبرزين الذين كان يأخذ برأيهم في غالب الأوقات وذلك لما كان له من التأثير الأدبي والنقدي .

إن عبد الكريم النهشلي كان شاعرا قويا وناقدا بصيرا بأساليب النقد ومناهجه من آرائه في أصناف الشعر

الشعر أربعة أصناف : فشعر هو خير كله وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك .وشعر هو ظرف كله

---

[100] –بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق القيرواني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص55.

[101] –بشير خلدون، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[102] تولى تميم بن المعز بن باديس الزهري الحكم بالقيروان عام 545هـ إلى 501هـ (1062-1107م) وكان شاعرا مجيدا له قصائد رائعة في أغراض مختلفة .

[103] - تولي المعز بن باديس الحكم بالقيروان من عام 406إلى 454هـ (1062-1116م).

وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتتن به من المعاني والآداب.

وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس.

وشعر يكتسب به وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل إنسان من حيث هو ويأتي إليه من جهة فهمه .....

يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللهو ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فيكون من المديح التراثي والافتخار والشكر ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء [104] .ويمكن من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ .ويكون من اللهو الغزل والطرد[105] وصفة الخمر و المخمور[106] .

17- علي بن أبي الرجال الشيباني : التاهرتي : 425هـ (1034م)

هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني التاهرتي رئيس ديوان الإنشاء ببلاط المعز بن باديس الزيري وهو أستاذ ابن رشيق ومعاصره وهذا مفتون به وبأدبه وقد صنف له كتابة : " العمدة " كعادة أكثر العلماء. إن أبي الرجال أديب كبير وشاعر عظيم يثني عليه ابن رشيق كثيرا وينعته بواحد الدهر[107].

18- عبد الله بن قاضي ميلة:

---

[104] - الاستبطاء هو أن يعد الشخص بطيئا أي متأخرا وفي المثل يقال :
" هو أبطاء من غراب نوح " أي أكثر بطءا منه .

[105] - المراد بالطرد مطاردة الصيد مع وصف كلابه وأوابد الوحش والقصائد الواردة في هذا الغرض تسمى الطرديات

[106] - محمد بن رمضان شاوش، صص65/67.

[107] - محمد بن رمضان شاوش، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص58.

هو أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة وكل ما نعلم عنه أنه كان معاصرا لابن رشيق وأنه دخل صقليه ومدح أميرها ثقة الدولة الكلبي في عيد النحر بقصيدة بديعة ولا ندري هل وجد هنالك ضالته المنشودة أم أخفق في العثور عليها لكننا نعلم أنه فارق الجزيرة وعاد إلى وطنه .

إن ابن القاضي ميلة من مدرسة عمر بن أبي ربيعة يسلك طريقه في نظم الأقوال والحكايات الحسنة الغربية وينعته ابن رشيق بأنه " شاعر لسن مقتدر".

مدح الأمير ثقة الدولة الكلبي [108]ملك صقلية

(الطويل)

يذبل الهوى دمعي وقلبي المعنف	وتجني جفوني الوجد وهو المكلف
وإني ليدعوني إلى ما سبقته	وفارقت مغناه الأغن المشنف
وأحور ساجي الطرف أما وشاحه	فصفر وأما ردفه فصفوف
يطيب أجاج الماء من نحو أرضه	يجبى ويندي ريحه وهو حرجف
وأيسني من وصله أن دونه	متالف تدري الريح فيها فتتلف
وغيران يجفوا النوم كي لايرى لنا	إذا نام شملا في الكرى يتألف
يظل على ما كان من قرب دارنا	وغفلته عما مضى يتأسف
وجون بمزن الرعد يستن ودقه	يرى برقه كالحية الصل تطرف

[108] - هو أبو الفتح يوسف بن عبد الله تولى الحكم من عام 379هـ إلى 388هـ (998-990م) ولم يكن مستقلا كل الاستقلال بل كانت تحت سيادة الدولة الفاطمية كباقي الكلبيين الذين حكموا صقلية أثناء القرن الرابع والخامس من الهجرة (العاشر والحادي عشر الميلادي) وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة لديه في يوم عيد النحر .

كأني إذا ما لاح والرعد معول وجفن السحاب الجون بالماء يذرف

سليم وصوت الرعد راق وروقه كنفث الرقى من سوء ما أتكلف[109]

19- محمد بن هانيء الأندلسي (نزيل المسيلة) : 326-363هـ(937-972م)

هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي أصله من المهدية الإفريقية لكن أباه انتقل إلى الأندلس واستقر بقرية قرب اشبيلية فولد له الشاعر بها ثم تلقى دروسه بإشبيلية فحصل على حظ وافر من الأدب والشعر كما أن أباه الذي كان شاعرا أيضا

مدح أمير الزاب [110]: جعفر بن علي بن حمدون [111]

(الطويل)

ألا أيها الوادي المقدس بالطوى[112] وأهل الندى قلبي إليك مشوق

ويا أيها القصر المنيف قبابه على الزاب لا يسدد إليك طروق

ويا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجد وهو فريق[113]

---

[109] - محمد بن رمضان شاوش (م س)، ص50.

[110] - كان لا زال يطلق هذا الإسم على الناحية الجنوبية الشرقية من المغرب الأوسط (الجزائر) وأشهد قواعده في القديم طبنة ثم المحمدية أو المسيلة ثم بسكرة وهو عبارة عن سلسلة جبال مشرقة على الوادي جدي يتراوح ارتفاعها مابين 500و700مترا .ومعنى الزاب لغة الماء الجاري

[111] - هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون المعروف بابن الأندلسية أمير الزاب وصاحب المسيلة التي اختطها الخليفة العبيدي أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي وجعل ولايتها لأبيه ثم كانت له وليحي أخيه.

[112] - اقتباس من قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) سورة النازعات أية 15 مع في ذلك من المغالة وكذا قوله تعالى (إني ربك فاخلع نعليك إنك بالواد

[113] - محمد بن رمضان شاوش، (م س)، صص39/38.

المحاضرة رقم12: نماذج من الأدب الجزائري القديم1 نماذج شعرية

من شعر بكر بن حماد:

ما أخشن البرد وريعانه وأطراف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا بدت كأنها تنشر من تخت

فنحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على سمت

نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت[114]

ويقول:

ومؤنسة لي بالعراق تركتها وغصن شبابي في الغصون نضير

قالت كما قال النؤاسي قبلها عزيز علينا أن نراك تسير

فقالت : جفاني يوسف بن محمد فطال علي الليل وهو قصير

أيا حاتم ما كان ، ما كان بغضة ولكن أنت بغد الأمور ، أمور

فأكرهني قوم خشيت عقابهم فداريتهم والدائرات تدور

وأكرم عفو يؤثر الناس أمره إذا ما عفا الإنسان وهو قدير[115]

---

[114] - . البوني ، الأزهار الرياضية ، في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثاني ، ص 28

[115] - المرجع نفسه، ص239.

ويقو.إن السماحة والمروءة والندى جمعوا لأحمد من بني القاسم

إذا تفاخرت القبائل وانتمت فافخر بفضل محمد وبفاطم

وبجعفر الطيار في درج العلا وعلي الغضب الحسام الصارم

إني لمشتاق إليك وإنمـــا يسمعوا العقاب إذا سما بقوادم

فابعث إلي بمركب أسمو به علي أكون عليك أول قادم

وأعلم بأنك لن تنال محبة إلا ببعض ملابس ودارهم

وقد قالها في مدح أحمد بن القاسم بن إدريس حاكم مدينة كرت (وهي مدينة مغربية كانت تقع قريبا من العرائش وأصيلا .ويبدو أنها لم تلعب إلا دورا تاريخيا ثانويا .ولعل من أجل بعض ذلك انقرضت على الرغم من أنها كانت تلقب ببصرة المغرب[116].

1.قد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها

2.فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها

3.إلى مشهد لا بد لي من شهوده ومن جرع للموت سوف أذوقها

4.ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنها طيبها وخلوقها

---

[116] - عبد الملك مرتاض، المرجع نفسه، ص240.

5.مواطن للقصاص فيها مظالم تؤدى إلى أهل الحقوق حقوقها

6.سحاب المنايا كل يوم مظلة فقد هطلت حولي وطال هطولها

7. وللنفس حاجات تروح وتغتدي ولكن أحاديث الزمان تعوقها

8.تجهمت خمسا بعد سبعين حجة ودام غروب الشمس لي وشروقها

9. وأيدي المنايا كل يوم وليلة إذا فتقت لا يستطاع رتوقهـــا

10.يصبح أقواما على حين غفلة ويأتيك في حين البيات صروقها[117]

يقول بكر بن حماد يرثي فيها ابنه عبد الرحمن حين خرج اللصوص عليهما وهما في طريقهما إلى تيهرت ؛فقتلوا الابن وكلموا الأب الشيخ والشاعر:

1.بكيت على الأحبة إذ تولو ولو أني هلكت بكوا عليـا

2.فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا

3.كفى حزنا بأني منك خلو وأنك ميت وبقيت حيـا

4.ولم أكن أيسا فيئست لما رميت الترب فوقك من يديا

5.فليت الخلق إذ خلقوا أطاعوا وليتك لم تكن يا بكر شيا

6.تسر بأشهر تمضي سراعا وتطوى في لياليهن طيـا

---

117 - الباروني، (م س)، ص72.

7.فلا تفرح بدنيا ليس تبقي ولا تأسف عليها يا بنيـا

8.فقد قطع البقاء غروب الشمس ومطلعها علي يا آخيـا

9.وليس الهم يجلوه نهـار تدور له الفراقد والثريـا[118]

ويقول سعيد بن واشكل التيهرتي:

نأى النوم عني واضحلت عرى الصبر وأصبحت في دار الأحبة في أسر

وأصبحت عن تيهرت في أرض عربة وأسلمني مر القضاء من القدر

إلى تنس ذات النحوس فإنها يساق إليها كل منتقص العمر

هو الدهر والسياف والماء حاكم وطالعة المنحوس صمصامة الدهر

بلاد بها البر غوت يحمل راجلا ويأوي إليها الذئب في زمن الحر

يرجف منها القلب في كل ساعة بجيش من السودان يغلب بالوفر

ترى أهلها صرعى دوى أم ملدم يروحون في سكر ، ويغدون في سكر[119]

ومن شعر أفلح بن عبد الوهاب:

1.الا ام أبقى لأهل العلم أثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

---

[118] - الدارونى، المصدر السابق، ص72/71.

[119] - عبد المالك مرتاض، (م س)، ص235.

2.حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

3.وذو حياة على جهل ومنقصة كميت قد ثوى في الرمس أعصارا

4.لله عصبة أهل العلم إن لهم فضلا على الناس غيابا وحضارا

5.العلم على كفى بالعلم مكرمة والجهل جهل كفى بالجهل إدبارا

6.العلم عند اسمه أكرم به شرفا والجهل عند اسمه أعظم به عارا

7.يشرف العلم للإنسان منزلة ويرفع العلم للإنسان أقـــدارا

8.العلم در له فضل ولا أحد في الناس يدري لذاك الدر مقدارا

9.للعلم فضل على الأعمال قاطبة عن النبي روينا في أخبـــارا

10.يقول طالب علم بات ليلته في العلم أعظم عند الله أخطارا

11.من عابد سنة لله مجتهدا صام النهار وأحيى الليل إسهارا

12.وقال : إن مداد الطالبين على ثيابهم ، وعلى القرطاس أسطارا

13.مثل دم الشهداء المكرمين لهم فضل فأكرم بأهل العلم أخبـارا

14.وقال : هم يرثون الأنبياء كذا فيهم روينا احاديثـا وأخبـارا

15.أكرم بهم من ذوي الفضل المبين له إرث النبوة في أيديهم صارا

16.الكاشفين معاني كل مشكلة والمظهرين خفي الغمض إظهارا

17. أشدد إلى العلم رحلا فوق راحلة وصل إلى العلم في الأفاق أسفارا

18.واصبر على دلج الأغساق معتسفا مهامة الأرض أحزانا وأقطـارا

19.حتى تزور رجالا في رحالهم فضل ، فأكرم بأهل العلم زوارا

20.والطف بمن أنت منه العلم مقتبس جدد له كل يوم منك إبرارا

21.فاللطف مستخرج منه فوائده وكن لصولته ، وإن صال ، جبارا

22.فصدر ذي العلم إن راجعته حرج فقد برى الله هذا الخلق أطوارا

23.وارصد خواطر ساعات النشاط له إذا أردت لبعض القول تكرارا

24.وأحسن الكشف عن علم تطالبه والزم دراسته سرا وإجهـــارا

25.ولا تكن جامعا للصحف تخزنها كالعير يحمل بين العير أسفـارا

26.نعم الفضيلة نعم الذخر تورثه لنفسك اليوم إن أحسست أثارا

27.وان هممت بخير الناس تألفهم ألفت بالعلم أبرارا وأخيـــارا

28.فاطلب من العلم ما تقضي الفروض به واعمل بعلمك مضطرا ومختـارا

29.واطلبه ما عشت في الدنيا ومدتها لموقف العرض أن لا تورد النارا

30.واجعله لله لا تجعله مفخرة ولا ترائي به بدوا وأحضـــارا

31.تعسا لكل مراء غير مقتصد وقد تقلد أثامـــــا وأوزارا

32 .يصطاد بالعلم أموال العباد كما يصطاد مقتنص بالباز أطارا

33.لو كان في فلوات الأرض معترضا وللدراهم في الأسواق طـــرارا

34.فلا تخادع بما تبديه خالقنا والله يعلم ما تخفيه إظمـــــارا

35.مولاك يعلم ما تخفي الصدور فلا يكن لك الحلم سن سولاك غـــرارا

36.ولا تداهن إذا ما قلت مسألة أضررت بالدين إذ داهنت إضرارا

37.واجعل لنفسك حظا من مذاكرة مع الصديق إذا استوحشت أسمارا

38.وانشط لعلمك إذ بد من ملل ولا تكن من جميع الناس فرارا

39.وعاشر الناس وانظر من تعاشره قصدا ولا تكثرن الصحب إكثارا

40.فرب مكثر صحب لا يزال يرى لنفسه قرناء السوء أشرارا

41.الخير في الناس معدوم وفاعله إلا القليل وذاك القل قد بارا

42.وكن بربك لا بالناس معتصما كفى بربك رزاقا وغفارا

43.خير العباد عباد الله إن له لطفا خفيا يرد العسر أيسـارا

44.سبحانه صمد لا شيء يشبهه أقررت لله بالتوحيد إقـرارا[120]

هذه المنظومة التعليمية لأمير الحاكم ؛ ويعني ذلك أن الحكام الجزائريين في أول دولة جزائرية ، على عهد الإسلام ، كانوا من العلماء والأدباء وهي أول قصيدة قيلت في تاريخ الشعر الجزائري... ولقد شطرت هذه المنظومة فبلغ عدد أبياتها، نتيجة لذلك ، ثمانية وثمانين بيتان كما ورد ذلك في الأزهار الرياضية[121].

ويقول أحمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي يمدح أبا العيش بن إبراهيم بن القاسم صاحب مدينة البصرة المغربية:

1.قبح الإله اللهو إلا قينـة بصرية في حمرة وبياض

2.الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها ، والكشح غير مفاض

3.في شكل مرجي ونسك مهاجر وعفاف سني وسمت إبـاض

4.تيهرت أنت خلية وبرقة عوضت منك ببصرة فاعتاض

5.لا عذر للحمراء في كلفي بها أو تستفيض بأبحر وحياض

120 - الدارودي، مصدر سابق، صص190/191.
121 - عبد المالك مرتاض، (م س)، صص247/248.

6.ما عذرها والبحر عيسى ربها ملك الملوك ورايض الرُّوَّاض[122]

ويقول أبو الحسن الششتري(ت 668)هـ

أُنْظُرْ لِلَّفْظِ أَنَا يا مُغْرَماً فِيهِ مِنْ حَيْثُ نظْرَتنا لَعَلَّ تُدْرِيهِ

خَلِّ ادِّخَارَكَ لاَ تَفْخَرْ بِعَارِيَّةٍ لاَ يَسْتَعِيرُ فَقِيرٌ مِنْ مَوَالِيهِ

جُسُومُ أَحْرُفِهِ لِلسِّرِّ حَامِلَةٌ إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُهُ جَرِّدْ مَعَانِيهِ[123]

ويقول أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام (الدلسي):

وَلَوْ لَمْ ينبني غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ سَعِدْتُ بِذَاكَ القَدْرِ عُمْرِي وَلاَ أَشْقَى

كَفَى بِي عِزّاً أَنَّه لي سيِّدٌ وأني عَبْدٌ لاَ أُرِيدُ لَهُ عِتْقاً

وَمَّا لِيَ والعِتْقُ المُكَدَّرُ عَيْشَتِي رَضِيتُ بأَنْ أَبْقَي لمن شَقَّني رِقَّا

فَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ نَفْسٍ رَقِيقةٍ تَمِيلُ لأَنْ أَهْوَى مِنَ الحُسْنِ مَارَقَا[124]

أبو الحسن الششتري :

---

[122] - عبد المالك مرتاض، المرجع السابق،ص248.

[123]) الغبريني ، عنوان الدراية ، ص٢١٧ .

[124] المصدر نفسه ، ص 294 ، 295 .

لاَ تَلْتَفِتْ بِاللهِ يَا نَاظِري ... لأَهْيَفَ كَالغُصْنِ النَّاضِرِ

يَا قَلْبُ واصرف عَنْكَ وهْمَ النَّقا ... وَخَلِّ عَنْ سِرْبِ حِمَى حَاجِرِ

مَا السِّرْبُ ما البَانُ وَماَ لَعْلَعٌ ... ما الخَيفُ مَا ظَبْيُ بني عَامِرِ

حَمَالُ مَنْ سَّميتـَهُ دَائِرٌ ... مَا حَاجَةُ العَقْلِ بالدَّائِرِ[125]

يقول أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن عمر الأنصاري (البجائي):

سَفَرتْ عَلَى وَجْهِ الجَمِيلِ فَأَسْفَرَا ... وَبَدَا هِلاَلُ الحُسْنِ مِنْهَا مُقْمِرَا

وَدَنَتْ فَكَاشَفَتِ القُلُوبَ بِسِرِّهَا ... وَسَقَتْ شَرَابَ الأُنْسِ مِنْهَا كَوْثَرَا

وَرَأَيْتُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ أَبْصَرَتْ ... عَيْنَايَ حَتَّى عُدْتُ كُلِّي مُبصرَا

وَسَمِعْتُ نُطْقَ النَّاطِقِينَ فَكُلُّهُمْ ... بِالحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ عَنْهَا أَخْبَرَا

وَبِهَا رَكِبْتُ زَوَاخِراً مِنْ حُبِّهَا ... وَلَبِسْتُ سِرَّ السِّرِّ ثَوْباً آخَرَا

وَبِهَا فَنِيتُ عَنِ الفَنَاءِ وَغُصْتُ فِي ... مَاءِ الحَيَاةِ مُسَرْمَداً وَمُدهَّرَا

فِي المَاءِ يَظْهَرُ كُلُّ شَيْءٍ كَائِنٍ ... وَبِهِ يُرَى مِثْلُ الوُجُودِ مُصَوَّرَا

وَأَنَا أَرَى فِي كُلِّ مَاءٍ مَاءَهُ ... وَأَرَى وَرَاءَ المَاءِ مَاءً آخَرَا

---

[125] الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 211 .

فَإِذَا وَصَلْتَ بِهِ إِلَيْهِ فَرَاجِعَنْ تِلْكَ المَنَازِلَ ثَقَّلَهُ مُتَنَكِّرَا

فَمَتَى أَرَدْتَ إِبَانَةً عَنْ بَعْضِ مَا فِي القَلْبِ مِنْ سِرٍّ مَصُونٍ عَبَّرَا

فَارْفَعْ بِهِ ظُلَمَ الحِجَابِ فَرَفْعُهَا تُجْنِيكَ مِنْ غَرْسِ المُنى مَا أَثْمَرَا

فَتَرَاهُ حِينَ تَرَاكَ ذَاتاً رَافِعاً لِلَّبْسِ حَتَّى لاَ تَرَى إِلاَّ العَرَا

فَهُنَاكَ يُفْتَحُ بَابُهُ وَلَطَالَمَا قَدْ كَانَ دُونَكَ مُبْهَماً مُتعَذِّراً

إِفْصَاحُ قَوْلِي لاَ يَفِي بِسَوَاجِدِي وَبَيَانُهُ لاَ يَسْتَقِلُّ بِمَا جَرَا

لَوْ كَانَ سِرُّ اللهِ يُكْشَفُ لَمْ يَكُنْ سِرًّا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِيُذْكَرَا[126]

ويقول جعفر بن أمية :

أَأُمْسِكُ دَمْعًا وَقَدْ أُرسِلَتْ عَلَيَّ من الهَجْرِ ريحٌ عَقِيمْ

غَفَتْ مُقْلَةُ الوَصْلِ إِغْفَاءَةً كَنَوْمَةِ أَهْلِ الرَّقِيمْ

فَإِنْ كان نهْجُ الرِّضى مَائِلاً فإن صِرَاطَ المُسْتَقِيمِ مُسْتَقِيمْ

وَلَهُ مُقْلَةُ نَظَرتْ في النُجُومِ قَضَتْ لِي أَنَّ فُؤَادي سَقِيمْ[127]

---

126 - الغبريني، عنولن الدراية، ص87..

127. المصدر نفسه ، ص 291 (

ويقول أبو عبد الله بن عبد السلام (الدلسي):

وَلِي مَذْهَبُ فِي عِشْقِه وطَرِيقَةٌ مَسَالِكُهَا فِي الحُبِّ لاَ تُشْبِهُ الطُّرُقَا

حُلُومُ دَوِي الأَحْلاَمِ تُسْبِى لأَنَّهَا يُلاَحظُ مِنْه السِّرَّ لاَ الخَلْقَ وَالخُلُقَا

تَعَلَّمْتُ مِنْ عَيْنَيْهِ عِشْقِي لِحُسْنِهِ فللَّهِ أَلْحَاظُهُ تُعَلِّمُنِي العِشْقَا[128]

ويقول ابن الجنان:

أَشْتَاقُهُمْ فَإِذَا رُمْتُ الوُصُولَ بِهِمْ أُلْفِي القَوَاطِعَ عَنْ إِلْفِي بِمِرْصَادِ

مَنْ لي بهم والنَّوى[129] تُبْدِي مناقضتي وتُبْدلُ الوَعْدَ لي مِنْهُمْ بِإِبْعَادِ

هُمْ عِلَّتِي ودَوَائِي كَيْفَ لِي بِهِمْ أَنا العَلِيلُ وَلَدَيْهِمْ أَيْنَ لُوَادِي؟[130]

ويقول أبو عبد الله الإدريسي[131] المعروف بالجزائري:

128.) الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 296 .

129) النَّوَى: البعد والفراق ، عنوان الدراية ، ص 304 .

130) الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 304 .

131) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الإدريسي المعروف بالجزائري ، فقيه ، كاتب ، وأديب ، كان حسن النظم والنثر ، له شعر كثير في كل فنون الشعر ، ينظر: عنوان الدراية ، ص 287 .

لعلّك بعد الهَجْرِ تَسْمَحُ يا بَدْرُ بِوَصْلٍ فَقَدْ أَوْدَى بِمُهْجَتِي الهَجْرُ

أَبِيتُ كَمَا تَرْضَى الكَآبةُ وَالأسَى وَأَضْحَى كَمَا تَهْوَى الصّبَابةُ وَالفِكْرُ[132]

وفي الغزل يقول علي بن أبي الرجال الشيباني:

غرّاء واضحة ينوس بقربها جيد حكى جيد الغزال الأعنق

صدت فأغرت بالسحوم مدامعي والعين تذرف بالدموع السبق

تشكوا البعاد إذا بعدت تصبرا وإن ارتجعت إلى الزيارة تفرق

ولقد يبيت أخو المودة لائمي في حبها لوم الشفيق المشفق

حتى إذا طلعت فأبصر شخصها أخرى جهالة لائمي المستحمق

كم قد قطعت برحلها من ليلة وبشرب صافية كلون الزئبق

يسعى بها كالبدر ليلة تمه سحار ألحاظ رخيم المنطق

أليت أترك ذا وتلك وهذه حتى يفارقني سواد المفرق[133]

ويقول عبد الله بن قاضي ميلة:

يذبل الهوى دمعي وقلبي المعنف وتجني جفوني الوجد وهو المكلف

وإني ليدعوني إلى ما سبقته وفارقت مغناه الأغن المشنف

وأحور ساجي الطرف أما وشاحه فصفر وأما ردفه فصفوف

---

[132] المصدر نفسه ، ص 288 ، 289 .

[133] - محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص58.

يطيب أجاج الماء من نحو أرضه يجبى ويندي ريحه وهو درجف

وأيسني من وصله أن دونه متالف تدري الريح فيها فتتلف

وغيران يجفوا النوم كي لايرى لنا إذا نام شملا في الكرى يتألف

يظل على ما كان من قرب دارنا وغفلته عما مضى يتأسف

وجون بمزن الرعد يستن ودقه يرى برقه كالحية الصل تطرف

كأني إذا ما لاح والرعد معول وجفن السحاب الجون بالماء يذرف

سليم وصوت الرعد راق وروقه كنفث الرقى من سوء ما أتكلف

ولا شك أن الشعر الديني ، وخصوصا المدائح النبوية ، من أقدم الأغراض الشعرية ، وتحتفظ الوثائق بقصيدة نادرة في مدح المدينة المنورة (طيبة) قالها الشاعر الصوفي أبو محمد عبد الله بن عسر البسكري وهي القصيدة التي أكثر الكتاب من تداولها والنسج على منوالها لجودتها وصدقها ، فذكرها ابن عمار في (الرحلة) وابن سحنون في (الأزهار الشقيقة) ، ومنها هذه الأبيات

دار الحبيب أحق أن تهواها ونحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هممت بزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

فلأنت أنت إذا حللت بطيبة وظللت ترتع في ظلال رباها

معنى الجمال منى الخواطر والتي سلبت عقول العاشقين حلاها

لا تحسب المسك الذي كثر بها هيهات !أين المسك من رياها

طابت فإن تبغ التطيب يا فتي فادم على الساعات لثم ثراها[134]

وللأديب أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان ، أورد الغبريني ما يتعدَّى ثلاثين بيتا شِعريا ، نقتطف بعْضاً منها ، يقول ابن الجنان:

بَيْنَ الجَوَانِحِ نَارٌ لِلْجَوَى[135] وَقَدَتْ فَإِنْ قَدَرْتَ فَاخْمِدْ بَعْضَ إِخْمادِ

هَيْهَاتَ تَسْتَطِيعُ إِخْمَاداً وَذِكْرُهُمُ يَزِيدُ نَارَ ضُلُوعِي نَارَ إِيقَادِ

وَجْدِي بِهِمْ وَجْدِ ذَاتِ الظَّمْءِ[136] حِيلَ بِهَا عَنْ وِرْدِهَا صَرْفٌ رُوَّادٍ وَوُرَّادِ

أَشْتَاقُهُمْ فَإِذَا رُمْتُ الوُصُلَ بِهِمْ أُلْفِي القَوَاطِعَ عَنْ إِلْفِي بِمِرْصَادِ[137]

ومن شعر محمد بن هانئ الأندلسي (نزيل مسيلة)

ألا أيها الوادي المقدس بالطوى[138] وأهل الندى قلبي إليك مشوق

ويا أيها القصر المنيف قبابه على الزاب لا يسدد إليك طروق

---

134 - أبو القسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص254..

135) الجوى: الحب الشديد ، المصدر نفسه ، ص 304 .

136) الظمْء :العطش ، وذات الظمء: الناقة العطشى ، المصدر نفسه ، ص 304 .

137) المصدر نفسه ، ص 304 .

138 - اقتباس من قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) سورة النازعات أية 15 مع في ذلك من المغالة وكذا قوله تعالى (إني ربك فاخلع نعليك إنك بالواد

ويا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجد وهو فريق[139]

فما أنس لا أنس الأمير إذا غذا يروع بحري ملكه ويروق

فللجود مجرى من صفيحة وجهه إذا كان من ذاك الجبين شروق

وهزته للمجد حتى كأنمـــــــا جرت في سجاياه العذاب رحيق

أما وأبي تلك الشمائل إنهـــــا دليل على أن النجار عتيق

فكيف بصبر النفس عنه ودونه من الأرض معبر الفجاج عميق

فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما فليس لهذا الملك غيرك فوق

ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة فما نلتها إلا وأنت حقيـــــــق[140]

ويقول ابن الخلوف القسنطيني:

وَلاَحَ جَبينُ الصّبْحِ في طرّه الدّجى فَخِلْتُ الصبح في سمرة اللّما

خَلِيلَيَّ هلِ صافحْتُما راحةَ الهوى بِراحةِ مُغْرى بِالصبابةِ مُغرما

إلى أن أماطَ الفجْرُ فَضْلَ لِثَامِه ونوَّر بالإسْفَارِ ما كان أظلما

نبِيّ له بدرُ السماءِ انشقّ طائِعًا وحنَّ إليه الجِذعُ شَوقا و كلَّما[141]

---

[139] - محمد بن رمضان شاوش، (م س)، ص ص39/38.

[140] - محمد بن رمضان شاوش، ص39.

[141]-محمد الأزهرباي ، المديح النبوي في الغرب الإسلامي ، (م س) ،صص 502 ، 503 .

المحاضرة رقم13: نماذج من الأدب الجزائري القديم2 نماذج نثرية

- رسالة الإمام أفلح إلى بعض العمال :

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد ، سلام عليك وإني أحمد الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أله .

(أما بعد) ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر في خير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن أدم وما عفى به من فاز برحمته من عظيم خلقه السموات والأرض والجبال والشجر .وأذكر لما أعده الله لابن أدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها فلو تكن كرامة تطلب إلا للنجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم وما يفارقوا جميع اللذات إلا أني أقول لك أن الدواء في هذا هو الاستغاثة إلى الله في العصمة فمن أراد به الإحسان عصمه [142] وجعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم : {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان }[143] فاطلب الله وارغب إليه في العصمة والتوفيق وأن يحول فيك وبين عدوك وأعلم أنه لا شيء أمن نكل خير من موعظة ومن موعظة يأخذها فتبل واجتهد في القول .....إلى أن قال : وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق

---

[142] - أي حفظه من الإصرار على المعاصي ووفقه إلى التوبة .

[143] – سورة الحجر أية 42و سورة الإسراء أية 65.

يدك وأن الحاضر يرى مالا يراه الغائب فلعلمي إنه لكذلك ولكن ليس هذا إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة لا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد، فائق الله واجتهد جهدك في تغيير الحقوق وتوجيهها إلينا .على هذا مضى من كان قبلك.....[144]

وهذه وصية عقبة بن نافع الفهري : دفين قرية سيدي عقبة قرب بسكرة 63-9هـ (631-682م)

- وصية عقبة بن نافع[145] لبنيه :

لما خرج عقبة بأصحابه وبكثير من أهل القيروان إلى المغرب دعا بأولاده وقال لهم: "إني بعت نفسي من الله [146] وما أدري ما يأتي علي في سفري" ثم قال :"يا بني أوصيكم بثلاث خصال فا حفظوها ولا تضيعوها : أياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن ، فإن القرآن دليل على الله عزوجل وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ثم انتهوا عما وراءه .وأوصيكم أن لا تداينوا ولو لبستم العباء فإن الدين ذل بالنهار وهم بالليل فندعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم وتبق لكم الحرمة في الناس ما بقيتم .ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين

---

144 – الباروني، مصدر سابق

145 – ولد عقبة بن نافع الفهري قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة وقدم إلى إفريقية عام 46هـ (666م) ، فاستشهد هو وجماعة من الصحابة عام 63هـ (682م).

146 - فيه إشارة إلى قوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون }.....(سورة التوبة ، أية 111) .

فيجهلوا كم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ولا تأخذوا دينكم إلا عن أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا في من نجا " ثم قال : " عليكم سلام الله وأراكم لا تروني بعد يومكم هذا [147] ثم قال : " اللهم تقبل نفسي في رضاك واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك".

وهناك لغز في الميراث تبادله محمد الطنبي ومحمد القوجيلي وكانت إجابة القوجيلي فيه طويلة بدأها بقوله :

طربت لما بدا لي نظم عقود اللآل

فرائد الحسن فيها دارت بجيد غزال[148]

[147] - قد تحققت فراسة عقبة رضي الله عنه حيث أنه استشهد في واقعة تهودة بالقرب من بسكرة عام 63هـ (682م)

[148] - أبو القاسم سعد الله، (م س)، ص298.

المحاضرة رقم14: بيبليوغرافيا الأدب الجزائري القديم.

- أحمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس، دار صادر بيروت، مج 7 ، (د ط) ، 1408 هـ / 1988 م .

– ابن الخلوف القسنطيني ، ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين ، تحقيق وشرح و تعليق: العربي دحو ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، طبعة ديسمبر 2004م ، (د ط) .

– سليمان الباروني ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، القسم الثاني ، تح : أحمد كروم ، عمر بازين ، مصطفى بن دريسو ، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة ، الجزائر ، ط3 ، 2002 م .

– الشاب الظريف ، الديوان، تح : العربي دحو ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، (دط)، 2001 م .

عفيف الدين التلمساني ، الديوان ، تحقيق و تقديم : العربي دحو ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، 2007م ، (د ط) .

– الغبريني ، عنوان الدراية " فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " ، تح : محمد أبي شنب ، دار البصائر للتوزيع و النشر ، الجزائر ، ط 1 ، 2007م .

– الغبريني ، عنوان الدراية " فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ط 2 ، 1981م .

– محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان– مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان – تح : محمود بوعياد ، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (د ط)، 2007م .

– محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2 ، 1981 م .

– أبو مدين شعيب ، الديوان ، جمع : العربي بن مصطفى الشوار ، مطبعة الترقي، دمشق، ط1، 1938 م .

– أحمد موساوي ، المولديات في الأدب الجزائري القديم ، عهد تلمسان الزيانية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، (د ط) ، 2008م .

– صالح فركوس ، المختصر في التاريخ الجزائري من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيي (814 ق م – 1962 م) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، الجزائر ، (د ط) ، (د ت ط).

- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و 13 الميلاديين ، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة، الجزائر ، (د ط)، 2004 م.

– طاهر توات ، ابن خميس التلمساني حياته و شعره ، الملكية للطباعة و النشر و التوزيع، العراش، الجزائر ، 2007 م .

– طاهر توات ابن خميس شعره ونثره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر،(د ط)، (د ت ط) .

– عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 1982م .

– عبد الحميد قادي ، بغية الجليس من شعر أبي عبد الله بن خميس ، مطبعة رويغي، الأغواط ، منشورات الحياة للصحافة ، الجلفة ، ط1 ، 2008 م .

– عبد الحميد هيمة ، الخطاب الصوفي و آليات التأويل ، قراءة في الشعر المغاربي المعاصر – دراسة – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، (د ط)، 2008 م .

– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر ، (د ط) ، ج 2 ، 2009 م .

- عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د ط) ، 1987 م .

- عبد القادر بوعرفة الهلالي ، أعلام الفكر و التصوف بالجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، (د ط) ، ج1 ، 2004 م .

- عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1981م .

- عبد الله شريط ، أبو القاسم محمد كرو ، شخصيات أدبية من المشرق و المغرب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط 2 ، 1966 م .

- عبد الله كنون ، أدب الفقهاء ، طباعة ، نشر ، و توزيع : دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت ، ط 2 ، 1984 م .

- عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة – تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية – دار الغرب للنشر و التوزيع ، (د ط) ، (د ت ط).

- عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954 ، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2011 م .

- العرابي لخضر ، الدين و الفن– مقاربة مفاهيمية – دار الغرب للنشر والتوزيع وهران،2006م.

- العربي دحو ، ابن الخلوف وديوانه جني الجنتين في مدح خير الفرقتين المعروف بديوان الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، (د ط) ، 1993 م .

- العربي دحو ، الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية والإدريسية (30- 230 هـ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د ط) ، 1994 م .

- عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين ، (3 / 14 هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 م .

- عمر بن قينة ، أدب المغرب العربي قديما ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1994 م .

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ج 1، ط 2 ، 1985 م .

- مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، ج2 ، بيروت ، 1963 م .

- محمد بن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان ، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، طبع و إشهاره ، داود بزيكسي، حي الكيفان ، تلمسان، مج1، ط1، 2001 م .

- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ج1 ، (د ط)، 2011 م .

- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديون المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ج 2 ، (د ط) ، 2011 م .

- محمد الشريف سيدي موسى ، مدينة بجاية الناصرية –دراسة في الحياة الاجتماعية و الفكرية ، تقديم ، محمد الأمين بلغيث ، دار كرم الله للنشر و التوزيع ، القبة ، الجزائر ، (د ط) ، 2011 م.

- محمد الطاهر علاوي ، العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب – عصره ، حياته، آثاره – شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، برج الكيفان ، ط1 ، 2004 م

- محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، تقديم : عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ط2 ، (د ت ط) .

- محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د ط)،2007 م.

- محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر (د ط) ، 1983م.

- محمد بن عبد الكريم الجزائري ، التصوف في ميزان الإسلام ، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1997 م .

- محمد مرتاض ، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، (د ط) ، 2009 م.

- محمد مرتاض ، الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ، دار الأوطان للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة ، سيدي موسى ، الجزائر ، ج 1 ، ط ، 2009م.

-محمد مرتاض ، الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ، دار الأوطان للطباعة والنشر و التوزيع و الترجمة ، سيدي موسى ، الجزائر ، ج2 ، ط 1 ، 2009 م .

- محمد مفتاح ، في سيمياء الشعر القديم –دراسة نظرية تطبيقية – دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، (د ط) ، (د ت ط) .

- محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث – اتجاهاته و خصائصه الفنية – 1925 – 1975 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1985 م .

- مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيبليوغرافيا – منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر ، جامعة وهران ، (د ط) ، 2007 م .

- مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا و التشكيل) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د ط) ، 2002 م .

- مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية – الأحوال الاقتصادية و الثقافية– منشورات الحضارة ، بئر توته ، الجزائر ، ج2 ، (د ط) ، 2009 م .

- يحي بوعزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ج2، ط1 ، 1995 م.

- يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ج1 ، ط2 2009 م.

- يوسف إسماعيل النبهاني ، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، دار الفكر ، بيروت ، مج3 ، (د ت ط) .

المحاضرة رقم14: قراءة في كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" ، تأليف : محمد بن ميمون الجزائري ،

تحقيق وتقديم : د محمد بن عبد الحكيم.

مقدمة

التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لابن ميمون الجزائري ، مصدر هام من مصادر الأدب الجزائري؛ لما يحتويه من نصوص أدبية متميزة: المبحث الأول وبه التعريف بالمؤلف ، فالمبحث الثاني به التعريف بالمؤلف من حيث عنوانه وموضوعه والدوافع لتأليفه ، منهجيته وأسلوبه وصولا إلى قيمته الأدبية والتاريخية ومزاياه أما المبحث الثالث فقدمته به عينات من محتوى الكتاب وفي المبحث الرابع تعرضت لعمل المحقق وحسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع فقد عمدت إلى الإفادة من آليو الوصف.

أولا : التعريف بالمؤلف.

نسبه : هو أبو عيد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري الدار[149]

[149] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ط 02، 1981، ص 11.

وقد أشار الجامعي وهو رفيق بن ميمون في الزمان والمكان بأن ابن ميمون هو حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي ، وهو صاحب منظومة التوحيد المسماة ب (الجزائرية)، والمشتملة على أربعمائة بيت ، وكلها في العقائد [150]

- وشخصيته كانت معاصرة للداي (محمد بكداش)، الذي أمد الله في عمره حتى سنة 1122هـ / 1710م[151].

ثقافته :

من خلال كتابة التحفة المرضية نلمس ميله إلى مجال السياسة حيث أنه يذم حاكما ويمدح أخر ، ويمتاز أسلوبه بصدق العاطفة ، كما يمتاز بنوادر روايات وما يختص به من تزويق الألفاظ.

عصره السياسي والثقافي :

كانت حركة سياسة الجزائر في عهده بيد الأتراك الذين بدأت دولتهم بالجزائر سنة 921هـ /1515م ، واستمرت حتى 1224هـ /1830م ، وهو عصر مقسم إلى أربعة عصور :

- عصر باي لارباي.
- عصر الباشوات.

---

[150] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[151] ينظر: المصدر نفسه، ص 12.

- عصر الأغوات .
- عصر الدايات .

وقد كان القطر الجزائري في عصره مليئا بالاضطراب (ثورة بين الأعراش والقبائل، سوء معاملة الحكام للرعية ، إضافة على حروب خارجية)[152]

عصره الثقافي : كان يتميز بالضعف في العطاء الثقافي نظرا لانشغال الجزائريين بأمر معاشهم وعدم استقرارهم ، كما أن الدولة التركية كانت عجمية اللسان فهي لا تهتم بالثقافة العربية [153]

ثانيًا : التعريف بالمؤلف :

1-عنوانه وموضوعه والدافع لتأليفه :

لم يقع تحريفه ولا تغيير في عنوان هذا الكتاب [154]، حيث أن النسختين اللتين اعتمدهما المحقق اتحدتا في لفظ العنوان ، فقد جاء خلال مقدمة كل منهما ((وسميته بالتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية)) ، وهي تسمية تشعر السامع بأن الكتاب يتناول نوعا من السير ، مع جزء من تاريخ الجزائر إبان حكم الأتراك .

---

[152] ينظر: المصدر نفسه، ص 14.
[153] ينظر: المصدر نفسه، ص 56.
[154] ينظر: المصدر نفسه، ص 83.

- موضوعه كما يبدو يتمحور حول سيرة الداي محمد بكداش من حيث آرائه الصائبة ، وأعماله المرضية ومن خلال حكمه كما تضمن الكاتب قصة الفتح الأول لمدينة وهران بعد أن احتلها الأسبان وفتحها محمد بكداش وبمسهره أوزان حسين ، أما الدافع لتأليفه فقد كان المحبة الكبيرة للمؤلف لهذا الداي محمد بكداش ، ولسيرته المرضية[155]

2-منهج تأليف الكتاب و أسلوبه :

انتهج المؤلف في هذا الكتاب نهج المؤرخ من حيث التعبير عن الواقع الصريح، وترتيب الحوادث وانتهاج الأديب من حيث السجع [156] ، وقد عمد إلى استخدام فن المقامة كلون أدبي ، ويمتاز بأسلوبه بمتانة اللفظ وقوة التعبير مع النزعة الدينيو. وهو أسلوب مليء بالسجع ، ويتميز بترتيب الأفكار وتسلسل سرد الوقائع ، هذا بالإضافة على الاقتباس من أي الذكر الحكيم ، والحديث الشريف ، مع توظيف أبيات شعرية متناسبة مع لموضوع[157].

3- قيمته التاريخية والأدبية :

يعد كتاب التحفة المرضية مصدرا أدبيا من مصادر الأدب الجزائري على عهد الأتراك ، إذ يحتوي على ست عشرة مقامة أدبية المبنى واقعية المعنى ، كما يحتوي على سبعمائة وخمسة وتسعين بيتا من الشعر كلها لأدباء جزائريين قد

---

[155] ينظر: المصدر نفسه ص، 84.

[156] ينظر: المصدر نفسه، ص 84.

[157] ينظر : المصدر نفسه، ص 85.

عاصرو المؤلف (....) ، فقد جمع الكتاب بين الأدب والتاريخ والحقيقة والخيال كما يعد وثيقة تاريخية ذات أهمية كبرى حيث تضمن الوقائع التاريخية فقدم تفاصيل المعارك ومراحل الهجومات على مدينة وهران ، حسب الأيام والشهور والسنوات ، وصل به الأمر إلى تحديد القتلى والأسرى والغنائم[158] .

4- **مزايا الكتاب:**

أ- مزية الصراحة التامة في الحديث عن الشخصيات التاريخية (...)

ب- مزية الترتيب الزمني للمناصب العسكرية التي تقلدها محمد بكداش(...).

ت- الترتيب الزمني لفتح مدينة وهران (...).

ث- مزية القصائد الشعرية والأراجيز النظمية التي أودعها كتابه لاسيما أن أغلبها أنشد ونظم من أجل الجهاد لإعلاء كلمة الله [159].

- وخلاصة القول أن التحفة المرضية ليست مرجعا للأحداث السياسية التي عاشتها بلادنا في عهد الأتراك فحسب؛ بل هي مصدر من مصادر الأدب أيضا إذ تعرض صاحبها فيها إلى أدباء عصره فترجم لهم وذكر شيئا من أدبهم .....[160]

ثالثًا : عينات من محتوى الكتاب

[158] ينظر: المصدر نفسه، ص نفسها.

[159] ينظر: المصدر نفسه، صص 92-93-94.

[160] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981ص 320

يضم الكتاب ست عشرة مقامة، وحوالي ثمان مائة من الأبيات الشعرية

المقدمة : تحتوي بعد البسملة والحمد لله على الغرض من التأليف وتضم ثلاثة أبيات من الشعر ومما جاء في المقدمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا مولانا محمد وسلم ، هذه مقامات الفقيه رحمه الله العلامة ، الفهامة ، الأديب البارع سيدنا محمد بن ميمون الجزائري ، نحمدك يا من جعل الأدب ريحانة للشم، وقلد أجياد البلغاء قلائد العقيان في النثر والنظم، ونشكرك على ما أولينا من المنح وعلى ما كان مبهما فانفتح[161] ليصل إلى ذكر سبب التأليف فيقول : فإنني لما رأيت مولانا الإمام الذي أنام في ظل الأمان جميع الأنام ، عالم الأمراء ، وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة العثمانية وناشر لواء العدل على جميع البرية ،أبو النصر السيد محمد بكداش أنارت أنواره جميع البلدان ، والتف ملكه بالإحسان ، التفاف الساق بالساق، أردت أن أخدم مجلسة العالي بزف هذا الكتاب إليه ... فوسمته باسمه، وكسوته نور وسمته[162].

عينات من مضمون الكتاب:

المقامة الأولى :

تحتوي على اسم والد الداي محمد بكداش ، والتنبؤ لولده بالرئاسة على الجزائر، وذكر تاريخ دخول المتنبأ له إلى الجزائر وذكر بعض المناصب التي تقلدها

---

[161] التحفة المرضية، ص 111

[162] المصدر نفسه، ص 113/112.

قبل أن يرتقي إلى منصب الداي ، ومما قاله بالمقاومة الأولى : فأول من أشار إليه أبوه وهو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد القرشي النسب ، العربي الإقليم ...، أبقى الله عدته للكمال ، متكلفة للدين ببلوغ الآمال، جليل العلاء ، عالي الجلال، منيل المواهب، موهب النوال ، فأشار على المولى بموال[163] .(منشدها سيدي قاسم البوني).

قلبي إليكم صبا والحب في جاشي والسر مني سرى في سر "بكداشي"

يا لائمي في هوى هذا الفتى الناشي أقصـــر ملامك إن خيره فاشي

المقاومة الثامنة :

تحتوي على تهنئات جماعة من العلماء وزمرة من الأدباء للداي محمد بكداش عندما تولى منصب داي على الجزائر وتضم ثلاثمائة واثنين وسبعين بيتا من الشعر، فأول من راسله بالقصائد السيد : يحي بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم، بن أبي راشد ، وهو العلامة المودود الكارع في مشرع الفقه لا ممنوع من ذلك ولا مصدود.

ومن هذه القصيدة :

كمل الهناء وطارت الأهوال وأزيحت الأحزان والأوجال

---

[163] المصدر نفسه، ص 114/117.

والخير عم والزمان مساعد ودنا المنى واليمن والإكمال

والأرض قد لبست برودا أحاله زمن الربيع الوابل الهطال

وتبسمت – فرحا – ثغور أزاهر بمحمد ودنت به الآمال

مله تفرد بالكمال ولم يكن لكماله في السالفين مثال

هتفت بدولته الطيور وبشرت بسعوده الصلحاء والأبدال

كرمت عناصره وطاب نحاره وزكت له الأعمال والأجوال

ذو هبة ملئت قلوب عداته فعراهم دون الأنام سفال

وهنأه التحرير الظريف ، أبو عبد الله البونصي الشريف (....) بقصيدة إن استجلتها استحليتها، وإن مقلتها نقلها (...)منها قوله:

بشارة خير قد أتت عقب المسا بفرقد سعد في السعادة قد رسا

فهب نسيم السعيد حين شروقه ومن حسنه أن جاءنا الحي قد كسا

وقد ضحكت أزهار روضة حينا تأرجها يشفي القلوب من الأسى

ربت أرضنا حتى اضمحلت كلامها فكم من أقاح أنبتتها ونرجسا

وبلبل روض لابتهاج مسجع على دوحة من بأنه متطوسة

علانا ابتهاج من سرور بنا لنا كأنا لبسنا بالمسرات سندسا

المبحث الرابع :

عمل المحقق:ضمن المحقق الكتاب ثلاثة ملاحق ، الملحق الأول : بعض الأشعار التي قيلت في مدينة وهران وهو من أهم ما اشتمل عليه الكتاب ، ومنه ما نظمه عبد الرحمن بن موسى عند هدم الباشا حسين المرسى الأعلى وهروب النصارى إلى الحصن الأسفل:

هنيئا لكم باشا الجزائر والغرب بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب

ستفتح وهرانا ومرساتها التي أضرت بدا الإقليم بلا ريب [164]

- وقال أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن محرضا الداي حسين :

نادتك وهران فلبي نداها وأنزل بها لا تقصدن سواها

واحلل بهاتيك الأباطح والربا واستصرخن دفينها الأواها [165]

- كما هنأه عبد الرحمن الجامعي وابن أبي المصلي.

والملحق الثاني جول مدينة وهران وتأسيسها ، أما الملحق الثالث فخصصه للتعريف بالعالم عبد الرحمن الثعالبي .

هذا وقد استهل المحقق الكتاب بمعلومات تاريخية حينما تناول العصر السياسي للمؤلف، وواقع الحياة السياسية التي كانت في عهد الأتراك بين 1515إلى 1830م وقد أوضح بأن 1659 و 1671م ، وأواسط العصر الرابع (عصر الدايات) من 1671إلى 1830م ، ليتطرق إلى الوضع السياسي الذي كان يسود

---

[164] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، ص 278

[165] المصدر نفسه ، ص 301.

الجزائر آنذاك ليصل إلى فتح مدينة وهران ، والتنظيم الإداري بالجزائر وحكامها في عصر المؤلف ، كما تحدث في عصره الثقافي ومراكز الثقافة والنتاج الأدبي الذي كان محصورا في بعض المدائح الدينية والمقطوعات الصوفية ومرثيات العلماء والمقامات [166] ، ليذكر بعض النماذج إذ يقول يحي بن أحمد بن أبي راشد :

سقى المطر الهطال أرضا تشرفت بمصر عدت للفضل والفخر جامعة

كما تطرق إلى رجال الثقافه في العهد التركي ورتبهم حسب سنوات الوفاه ، حيث ترجم إلى اثنين وثلاثين عالما بدءا بالشيخ طاهر بن زيان الزواوي ، وقد أشار المحقق إلى أن كتاب التحفة المرضية ، قد تكلم عنه بروكلمان ، فانيان ، قورقوص، بيير بريجير ، روسو ، وفاي ، وقد صرحو بأنه مجهول المؤلف [167] .

[166] المصدر نفسه، ص 62

[167] المصدر نفسه، ص 81.

الخاتمة

سلطت هذه المحاضرات الضوء على جوانب من الأدب الجزائري؛ بل كانت محاولة للخوض في مكوناته عبر الزمن بتتبع الواقع الفكري والأدبي على مدى عصور انطلاقًا من الفتح الإسلامي وصولًا إلى العهد العثماني الذي كان خاتمة العهد القديم؛ لتدخل الجزائر العصر الحديث مع الاستعمار الغاصب.

هذه الصفحات كشفت عن زخم هائل من النصوص الجيدة التي تستحق الكشف عن مكوناتها؛ فالتراث الجزائري زاخر؛ إذ تنوع بين الشعر والنثر بمختلف الأغراض والموضوعات، والملفت هنا حضور فنون أدبية مميزة تُضاف إلى المعروفة منها، من ذلك: الإجازات، والتوقيعات، وعقود الزواج التي كان يبدع فيها الأدباء بإعطائها الصبغة الفنية.

من جانب آخر كان عرض أبرز أعلام ومصادر ومراجع الأدب الجزائري القديم، مع وقفة مع أحد المصادر التراثية الهامة يتعلق الأمر بـ: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" لمحمد بن ميمون الجزائري بالنظر إلى قيمته الأدبية، والتاريخية، مع العلم أنه يحتوي على ما يفوق سبعمائة بيت من الشعر هذا بالإضافة ستة عشرة مقامة دون نسيان احتوائه على ترجمة لأكثر من ثلاثين علمًا من أعلام الثقافة بالجزائر في العهد التركي وعليه فهو كتاب يستحق الكثير من

الاهتمام بالبحث والدراسة للإفادة من محتواه القيم، وهو عينة من عدد هائل من المصادر الجزائرية التي تستحق تضافر الجهود للكشف عن مضامينها وخصائصه.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش.

– ابن الخلوف القسنطيني ، ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين ، تحقيق وشرح و تعليق: العربي دحو ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، طبعة ديسمبر 2004م ، (د ط) .

– سليمان الباروني ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، القسم الثاني ، تح : أحمد كروم ، عمر بازين ، مصطفى بن دريسو ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ، الجزائر ، ط3 ، 2002 م .

– الشاب الظريف ، الديوان، تح : العربي دحو ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، (دط)، 2001 م .

– صالح فركوس ، المختصر في التاريخ الجزائري من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيي (814 ق م – 1962 م) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، الجزائر ، (د ط) ، (د ت ط).

– عفيف الدين التلمساني ، الديوان ، تحقيق و تقديم : العربي دحو ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، 2007م ، (د ط) .

الغبريني ، عنوان الدراية " فيمن عرف ، من العلماء في المائة السابعة ببجاية " ، تح : محمد أبي شنب ، دار البصائر للتوزيع و النشر ، الجزائر ، ط 1 ، 2007م .

– الغبريني ، عنوان الدراية " فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ط 2 ، 1981م .

– عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954 ، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2011 م .

– عبد القادر بوعرفة الهلالي ، أعلام الفكر و التصوف بالجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، (د ط) ، ج1 ، 2004 م .

– محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2 ، 1981 م .

– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ج 1، ط 2 ، 1985 م .

– مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، ج2 ، بيروت ، 1963 م .

– محمد الأزهر باي ، المديح النبوي في المغرب الإسلامي ، من القرن 5 هـ /11 م إلى القرن 9هـ/ 15م ، قراءة في المعاني و الأساليب ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، (د ط) ، 2013 م

– محمد بن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان ، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، طبع و إشهاره ، داود بريكسي ، حي الكيفان ، تلمسان، مج1، ط1، 2001 م .

– محمد الطاهر علاوي ، العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب – عصره ، حياته، آثاره – شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، برج الكيفان ، ط1 ، 2004 م

– محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، تقديم : عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ط2 ، (د ت ط) .

– محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د ط)،2007 م.

– محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر (د ط) ، 1983م.

– محمد بن عبد الكريم الجزائري ، التصوف في ميزان الإسلام ، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1997 م .

- مختار حبار ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيبليوغرافيا – منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر ، جامعة وهران ، (د ط) ، 2007 م .

- مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا و التشكيل) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د ط) ، 2002 م .

فهرس الموضوعات

رقم المحاضرة	عنوان المحاضرة	الصفحة
	مقدمة	2
01	مدخل عام للأدب الجزائري القديم –الجزائر تاريخًا وثقافة–	15 – 3
02	الأدب الجزائري القديم – ماهيتة وهويتة وظروف نشأته–	19 –16
03	الأدب الجزائري القديم– النشأة والتطور	24 – 19
04	الشعر الجزائري القديم – أغراضه ، وأبرز أعلامه–1 الوصف – المدح – الزهد – الغزل	27 –24
05	الشعر الجزائري القديم – أغراضه ، وأبرز أعلامه–2 الرثاء – الحكمة والتوجبه – الشعر الديني – الشحر السياسي الشعر الاجتماعي	30 – 27
06	الشعر الجزائري القديم – أغراضه ، وأبرز أعلامه–3 االمجون والمزاح– المدح والفخر– شعر الألغاز– الشعر الذاتي	33 –31
07	الشعر الجزائري القديم – أغراضه ، وأبرز أعلامه–4	35 – 34

	الشعر والمرأة – الحنين – الشكوى	
08	**النثر في الأدب الجزائري القديم–مضامينه وأعلامه–1** الشروح الأدبية – التقاريظ – والإجازات والعقود	41 – 35
09	**النثر في الأدب الجزائري القديم–مضامينه وأعلامه–2** الرسائل –الوصف – الخطاابة	45 – 42
10	**النثر في الأدب الجزائري القديم–مضامينه وأعلامه–3** القصص – والمقامات – والرحلات	48 – 46
11	تراجم أعلام الأدب الجزائري القديم	64 – 48
12	نماذج من الأدب الجزائري القديم1 – نماذج شعرية	79 – 65
13	نماذج من الأدب الجزائري القديم2 – نماذج نثرية	83 – 80
14	بيليوغرافيا الأدب الجزائري القديم	91 – 84
	قراءة في كتاب – التحفة المرضية للدولة البكداشية في بلاد	101–93

	الجزائر المحمية لمحمد ابن ميمون الجزائري.	
	الخاتمة	103-102
	قائمة المصادر والمراجع	107-104
	فهرس الموضوعات	108